الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د.الطاهر مولاي – سعيدة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإجتماعية

شعبة الفلسفة

تخصص:فلسفة إسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ل.م.د

مفهوم المكاشفة عند أبي حامد الغزالي

إعداد الطالب:

مهدي محمد

إشراف الأستاذ:

بن يمينة كريم محمد

السنة الجامعية: 2016/2015

تشكرات

بـــــســـــم الـــلـه الرحـــــمان الرحـــــيـــــم

إنطلاقا من قوله تعالى: ***(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ..)***

ومن قوله:عليه الصلاة والسلام: من لا يشكر الناس لا يشكر الله

إلى أصدقائي شكراً.

إلى أساتذتي شكراً:وأخص بالذكر:بن يمينة كريم محمد،حفيان محمد،وآيت نور الدين،كفيف فاطمة الزهراء،عفيان محمد،شريف بن دوبة.

وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا العمل شكراً

إلى كل المسلمين:أسال الله لي ولكم المغفرةً والرحمةً وطريق الإستقامةوشكراً.

إهـــــــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى جوهرتي وهما والديّ الكريمين بارك الله في عمرهما، كما أهدي هذا العمل إلى ضياء بصري "عماد وهناء"

وإلى من راحتي وسعادتي من سعادتها والتي آمل أن يهبها الله موفور الصّحة والعافية.

وإلى كلّ الّذين أحبّهم وأخصّ بالذّكر منهم أحبّة العلم.

مقـــــــــدمـــــــــة

مقدمة:

لقد أسهم التصوف الإسلامي منذ القرن الأول الهجري في إعطاء صورة الوسطية والاعتدال،وقد كان المتصوفة يعيشون حياة الزهد والعبادة،ومخالطة الناس بأخلاق التصوف،ولهذا فالبحث في التصوف الإسلامي وفي أعلامه إنما هو محاولة للبحث عن قيمنا الروحية الأصيلة والتي تعيننا في مواجهة الحياة المادية،لأن الإسلام اهتم بالإنسان جسداً وروحاً،وقد أغفلت الحياة المادية للحضارات المتقدمة روح الإنسان على حساب جسده فأصبحت تعاني الانهيار والسقوط.

ومن هنا كان التصوف هو ذلك البحث عن التوازن الإنساني، وقد قمت في بحثي هذا المتواضع بمحاولة فهم أحد مصطلحات التصوف ومقاماته من خلال دراسة أحد أعلامه والذين كان لهم الأثر البالغ في الفكر والحضارة الإسلامية والإنسانية،حيث كان له الأثر العميق في الفلسفة الإسلامية فقد رسم لنفسه خطة مغايرة عن باقي أفراد مجتمعه وعن غيره من فلاسفة عصره وهذه الخطة يصل بها الفرد إلى ربه ويعرفه حق المعرفة بل ويستطيع أن يحل بها لغز الحياة ويتعرف على أسرار الكون ويطلع على بعض أسرار اللوح المحفوظ،ومن هنا كان لإمامنا المنهج الخاص والفلسفة التربوية المميزة والتي كان لها الأثر العميق في الفكر الإسلامي وقد تضمن هذا البحث منهجا خاصا اعتمده الغزالي وضمنه معظم كتبه وخصوصا كتابيه:"**الإحياء**"،"**والمنقذ**".

وكما هو معلوم أن الإمام:أبي حامد قد جرب جميع المذاهب وصبر أغوراها بدءًا من المتكلمين والباطنية،فالفلسفة،وانتهاءاً على رصيف التصوف الإسلامي النقي،ومعلوم أن **الغزالي:** قد قسم مراتب المعرفة إلى ثلاثة أقسام:1- معرفة العوام،2- معرفة المتكلمين،3- والمعرفة الخاصة بالعارفين.

أما المعارف فقد قسمها إلى معارف:-**أ/حسية:** وهي التي تدرك بالحواس،**ب/عقلية:**وهي التي تدرك بالعقل وهي:معرفة الفلاسفة والمتكلمين،**ج/ذوقية وعرفانية:**وهي المعرفة الصوفية،كما أن مراتب المتصوفة هي:1-العابد،2-والمريد3،-فالعارف.

ومنه كانت الإشكالية المركزية للبحث هي كالتالي:**ما مفهوم المكاشفة في التصوف الإسلامي؟وكيف تناولها الغزالي؟**

- ما مفهوم المكاشفة؟ ما الفرق بينها وبين بعض المصطلحات المشابهة؟
- وما دلالة هذا المصطلح عند المتصوفة الأوائل؟
- ما هو دليل الغزالي عليها؟ ما هي شروطها؟و ما أقسام الكشف لديه؟
- كيف فهمها الفلاسفة من المسلمين؟وغير المسلمين؟ وكيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة؟

أما عن أهداف البحث: فهي الإحاطة ولو بجزء يسير من هذه المعرفة،ومحاولة فهم مصطلح المكاشفة،وكيفية تطوره وانتقاله إلى أن وصل إلى ما وصل إليه عند الإمام الغزالي،وكيفية اهتداءه لعلم المكاشفة بعد رحلة طويلة وشاقة مليئة بالصعوبات والعقبات،وكيف كان أثر التصوف على حياته وسيرته.

وعن أسباب اختياري لهذا الموضوع: فهناك أسباب ذاتية:تتمثل في الميل والحب الشديد للإطلاع على كتب الغزالي:وخاصة"**الإحياء**"،"**ومكاشفة**"، وقد كانت أهديت لي،وكنت أتمنى أن يأتي اليوم الذي أستطيع أن اكتب عن هذه الشخصية، فإن الله إذا أحب عبدا جعل له القبول في الأرض ونادى أني أحب فلانا فأحبه: يا جبريل فيحبه،ويحبه كل من في الأرض ولا أحسب إلا أن الغزالي- رحمه الله-من هؤلاء الذين يجعل لهم القبول والمحبة في الأرض.

وقد تبين لي أن للبحث أهمية كبيرة وخاصة في حياة الناس:لأنهم تركوا كل ما هو روحي،ونقي في الإسلام وانصرفوا لعالم المادة،وعدم تصديق الغالبية منهم بالكرامات والمكاشفات التي يجريها الله على أيدي عباده الصالحين، فكان الاهتمام بهذا النوع من المعرفة.

وبالتالي كانت حدود البحث:الوصول إلى معرفة المكاشفة كما يراها الإمام الغزالي،بعد فهم هذا المصطلح كيف كان قبله،وكيف وصل إلى هذا النوع من المكاشفة من خلال حياته وسيرته الذاتية،ومعرفة لماذا كان منهجه مختلفا عمن سبقوه من المتصوفة.

أما البحث فهو يقوم:على المنهج التاريخي التحليلي من خلال جمع الكتب،والاستقراء والمقارنة بين منهج الغزالي-رحمه الله-ومناهج المتصوفة الآخرين محاولا بقدر الطاقة والاستطاعة التحليل والشرح،وكذلك:المنهج النقدي بعرض الآراء المشككة في مفهوم المكاشفة كما يراها الغزالي محاولا ما أمكن الوصول لمفهوم المكاشفة لدى الغزالي بعرض أدلته وآراءه،فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي.

وقد واجهتني بعض الصعوبات:

وأهمها قلة الوقت،وخصوصا أمام أعباء التدريس والدراسة ومحاولة التوفيق بينهما،وكذلك نوع الموضوع إذ يعد من المعارف غير المحسوسة والتي ليست في متناول جميع الناس وإنما هي معرفة كشفية: **لخاصة الخاصة** أو **العارفين**،ورغم ذلك فحاولت وآليت جهدًا إلا أن أكون في حسن المستوى وأن ينال هذا البحث المتواضع قبول الأساتذة الكرام.

وقد كانت هيكلة البحث وخطته قائمة على **مقدمة:** وتتبعها ثلاثة فصول فيها مباحث ففي الفصل الأول عنوناه بـ:"**المكاشفة** المفهوم والتعاريف" وتطرقنا فيه إلى مفهوم:**الكشف والمكاشفة** وبعض المصطلحات اللغوية المشابهة(البارقة،الخاطر،الوارد) ومصطلحات الوحي(مع ذكر أقسامه) ،الكرامة ،المعجزة، الإرهاص الاستدراج،الفراسة،الحدس،وأخيرا الإلهام ومعرفة الفرق بينها وبين المكاشفة.

أما المبحث الثاني: تناولنا فيه تحقيب مفهوم المكاشفة عند المتصوفة:1- سراج الدين الطوسي،2-أبو بكر الكالاباذي،3- أبو القاسم القشيري،4- الشيخ الهروي،وشرح كلامه من خلال تلميذه:ابن القيم الجوزية،5- القاشاني.

والمبحث الثالث: فلقد خصصناه لمفهوم المكاشفة عند الفلاسفة المسلمين:من خلال مدرستين:أ- المشائية:وذكر نموذجين:1-الفارابي،2- ابن سينا.ب-الإشراقية:1- السهرروردي،2- ابن عربي.

وفي **الفصل الثاني**: فهو حول"**مفهوم المكاشفة عند الإمام الغزالي**".

فالمبحث الأول: تعرضنا فيه إلى سيرته وحياته نحو التصوف،والمبحث الثاني:عرضنا فيه أقسام كتاب:الإحياء" وأنواع التوحيد لديه؟ والمبحث الثالث:بحثنا فيه مفهومه للمكاشفة؟ أدلتها وأنواعها، وكيف ينظر إليها؟

وخصصنا "**الفصل الثالث**": **تجليات مفهوم الكشف عند الغرب والعرب من المنتقدين**"

فالمبحث الأول: تناولنا فيه مفهوم المكاشفة في الفلسفة الغربية وأخذنا أنموذج: هما "وليام جيمس"، و "بيوك"

والمبحث الثاني: تطرقنا فيه لأهم المعارضين والمنتقدين للغزالي.

ثم خاتمة التي هي عبارة عن استنتاجات لهذا البحث المتواضع.

وأخيرا وليس آخرا أدعوا من الله العلي القدير أن يجعل هذا البحث المتواضع لوجهه الكريم في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

المكاشفة ، المفهوم و المصطلحات

المبحث الأول :التعريفات اللغوية و الإصطلاحية

المبحث الثاني : مفهوم المكاشفة في إصطلاحات المتصوفة

المبحث الثالث : مفهوم المكاشفة عند الفلاسفة المسلمين

الفصل الأول: "**المكاشفة،المفهوم، والمصطلحات**"

تمهيد:

ترتبط المكاشفة عند المتصوفة بأصول التوحيد،حيث أن لها طابع ومفهوم خاص،فكما هو معلوم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاث أقسام،وثلاث مستويات:

1-توحيد العامة.

2-توحيد الخاصة.

3-توحيد خاصة الخاصة.

ولهذا فلا يصل إلى هذا النوع من الذوق **والمكاشفة** إلا خاصة الخاصة وهم من عرفوا التوحيد ووصلوا إلى حقائقه كما أن المكاشفة عندهم:هي تسعة أعشار العلم.

وسنحقب مصطلح **المكاشفة** من أوائل المتصوفة وانتهاءا **بالغزالي**-رحمه الله-لمعرفة تطور هذا المفهوم عبر الزمن ومعرفة معناه عند الإمام **أبي حامد الغزالي**-رحمه الله-.

المبحث الأول: الكشف لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور الكشف رفعك للشيء عما يواريه ويغطيه،كشفه،يكشفه، كشفا،وكشفه فانكشف وتكشف،وريط كشيف،مكشوف،أو منكشف،قال صَخرُ الغَيْ: أجشُ رِبِحلًا له هَيدب يرفع للخَالِ ريطًا كشيفًا،قال أبو حنيفة:يعني أن البرق إذا لمع أضاء السحاب فتراه أبيض فكأنه كشف عن ريطٍ وكشف الأمر يكشفه كشفا أظهره وكشفه عن الأمر:أكرهه على إظهاره وكاشفه بالعداوة أي بادأه بها،وفي الحديث:((**لو تكاشفتم ما تدافنتم**)):أي لو انكشف عيب بعضكم لبعض، ما تدافنتم."

وقال ابن الأثير*: أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه،والكاشفة:مصدر كالعافية والخاتمة،وفي التنزيل:(***لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ***[1])،أي كشف،وقيل إنما دخلت الهاء ليساجع قوله:"(***أَزِفَتِ الآزِفَةُ***[2])،وقيل:الهاء للمبالغة،وقال ثعلب:بمعنى قوله: ليس لها من دون الله: أي لا يكشف الساعة إلا رب العالمين فالهاء على هذا للمبالغة كما قلنا.[3]

-الكشف: جمع أكشف: وهو الذي لا ترس معه كأنه منكشف غير مستور،وكُشفَ القوم انهزموا.

-جاء في **<u>التعريفات للجرجاني**:</u>**

-**الكشف: لغة** :رفع الحجاب.

والحجاب:ذلك الستر الرقيق الذي يغطي الحقائق،وله عدة معاني لغوية يأتي من بينها:

---

* - ابن الاثير الجزري(555ه،630ه) مؤرخ كبير، ويعد كتابه:الكامل في التاريخ،موسوعة مهمة للتاريخ.
1- سورة النجم اللآية58.
2- سورة النجم الآية57.
3- ابن منظور،لسان العرب،دار الفكر،ط1،سنة2008، المجلد 3 ،ص1118.
**- الشريف الجرجاني،(و740ه،ت816ه)صاحب معجم المصطلحات

-**الحجاب:**هو كل ما يستر مطلوبك.وعند أهل الحق:انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق[1]،وعند **الغزالي:**الحجب ثلاثة:أ/ حجب لمجرد الظلمة،ب/ حجب بالنور المحض،ج/ حجب بنور مقرون بالظلمة[2].

-**الكشف:اصطلاحا:**

هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا [3].

كالإطلاع على بعض الأمور الغيبية في اللوح المحفوظ أو مشاهدتها.

أو إخبار عن أمور لا يطلع عليها إلا من اصطفاه الله بذلك وجودا، حاضرا، وشهودا،وكأنه شاهدها: مشاهدة الأعين،وهو:"**حق اليقين**":عند سراج الدين الطوسي عند شرحه **للمكاشفة**،و**الكشف** عند العلماء:مقابل **الاختراع** والفرق بينهما:أن الكشف يطلق على حصول العلم بالأمور الحقيقية الموجودة بالفعل:كالكشف عن الآثار،في حين أن **الإختراع:**هو الكشف عن أمور جديدة غير موجودة كاختراع الأدوات والأدوية.وهذا الكشف يتم عند العلماء بطريقتين:1-**الإلهام،والحدس:**وهما ذاتيان.2-**الوحي:**وهو خارجي طارئ[4]،وقد يسبق الكشف بارقة،خواطر أوواردات.

-**فالبارقة:**هي لائحة ترد من الجناب الأقدس وتنطفئ سريعا،وهي من أوائل الكشف ومبادئه[5].

-**أماالخاطر:**فهو ما يرد على القلب من الخطاب،أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه،وما كان خطابا فهو أربعة أقسام:

1- الجرجاني،معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة،سنة2004،ص73،باب الحاء.
2-أبي حامد الغزالي،مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار،ت:عبد العزيز عز الدين السيروان،عالم الكتب،ط1986،1،ص174
3- الجرجاني،المعجم نفسه،ص155،باب الكاف.
4- جميل صليبا،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،ط سنة1982،حرف:الكاف،ص230.
5- الجرجاني،المعجم نفسه ،ص38،حرف الباء.

1- **رباني**:وهو أول الخواطر وهو لا يخطئ أبدا وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع.

2- **ملكي**:وهو الباعث على مندوب أو مفروض ويسمى:"إلهامًا".

3- **نفساني**:وهو ما فيه حظ النفس ويسمى":هاجسًا"،وهي الهواجس التي تهجم على النفس.

4- **شيطاني**: وهو كل ما يدعوا إلى مخالفة الحق[1].

سواءا كان هذا الداعي: من جنس الإنسان أو جنس الشياطين وقد وصف الله سبحانه وتعالى دعوته بأنها دعوة للفقر وأمر بالفحشاء.

قال تعالى:(

.[2])

-**الوارد**:كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد[3].والواردات أيضا إما:إلهية وهو ما يعقبها الطمأنينة بذكر الله ومعرفته ومحبته،أما إذا أعقبها نشاط وسرور فهو وارد:ملكي،وإذا أعقبها خمول وكسل وثقل في الروح والأعضاء فهو وارد:شيطاني.

-أما**المكاشفة**:فهي حضور لا ينعت بالبيان[4]،لأن نعته يستحيل ويصعب فكان ممتنعا في بيانه.

1- الجرجاني،التعريفات،معجم سبق ذكره،ص84،حرف الخاء..
2- سورة البقرة الآية268.
3- الجرجاني،المعجم نفسه،ص209،باب الواو.
4- المعجم نفسه،ص192.

فكل هذه **المصطلحات**:تدل على اهتمام الصوفية بالكشف ولهذا تعددت وكثرت مؤلفاتهم من قبيل:"الكشف"،"الفتوحات"،"النفحات"،"الفيوضات"،"البوارق"،"التجليات"،"المخاطبات"،"علم القلوب"،"مكاشفة القلوب"،"مشكاة الأنوار"...

2-مفهوم بعض المصطلحات التي يحتاج فيها البحث لتميزها عن الكشف والفرق بينها وبين الكشف:

نبدأ بالوحي لأنه نوع من أنواع الكشف،غير أن هذا الكشف لا يحصل إلا للأنبياء في المعنى الاصطلاحي،الظاهري،أو الإلهي،أما الأولياء:فيحصل لهم القسم الثالث:من الظاهري:وهو الإلهام وأيضا:والوحي الطبيعي،أما في المعاني اللغوية فقد يحصل حتى لغير الأنبياء والأولياء لهذا سنتعرف على تقسيماته اللغوية والاصطلاحية للتميز بينها.

1-الوحي:لغة: هو الإعلام الخفي السريع إما بالإشارة،والإلهام و الكلام الخفي و كل ما ألقيته على غيرك،والوحي:الشيء المكتوب و يطلق على الكتب.

وهناك من يقسمه:إلى:**أ/وحي إلهي**:وهو الفعل الذي يكشف به للإنسان عن الحقائق التي تجاوز نطاق عقله،**ب/ووحي طبيعي**:يطلق على كل معرفة بالحقائق الإلهية يوصل إليها بطريق الإلهام.

والوحي في **اصطلاح الشريعة**:هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه،وقيل الوحي ظاهر وباطن،أما الظاهر:فثلاثة:1-ما ثبت بلسان الملك فوقع في سمع النبي،2-ما وضح له بالإشارة بغير كلام،3-الإلهام،وأما الباطن:فما ينال بالرأي والاجتهاد[1].

وقد يعرف أيضا:بالإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره[1].

1- جميل صليبا،معجم سبق ذكره،حرف:الواو،ص570

وهو على قسمين:لغوي،وشرعي.

الأول–الوحي اللغوي،وهو أنواع:

أ–الإلهام الغريزي للحيوان:وهو كوحي الله للنحل قال تعالى:([illegible] .)[2]،فالأفعال الغريزية للحيوانات وخصوصا للطير صناعات أيضا فإنها تصنع بيوتا ومساكن لاسيما النحل لكن ذلك لا يصدر عن استنباط وقياس،بل عن إلهام وتسخير[3]، و لهذا تفسر أفعالها بالإلهام.

ب–الإلهام الفطري للإنسان:كما أوحى الله سبحانه وتعالى لأم موسى قال تعالى:([illegible]).[4]

وهذا الإلقاء في قلبها:عن طريق الإلهام.

2- عبد الله حشروف، الإيضاح في علوم القرآن،دار الأمل للطباعة،ط2،سنة 2011، ص19.20.21.22..

1- سورة النحل أية،68.

2- صليبا جميل،المعجم سبق ذكره،ص131.

3- سورة القصص أية 7.

ج-**الإشارة السريعة**:وقد أخبر الله تعالى عن زكريا -عليه السلام- عندما خرج إلى قومه فأشار إليهم بأن يسبحوا الله بكرة وعشيا،قال تعالى:(

[1]: قال الفراء فأوحى إليهم: أي أشار إليهم،ولم يكلمهم.

د- **وسوسة الشياطين**:قال تعالى:(

[2].

وقد وصف الله تعالى: وسوسة الشياطين لأوليائهم بأنها وحي،ويأتي أيضا من معاني الوحي:وحي الله إلى ملائكته،بتثبيت المؤمنين في مقابل وسوسة الشياطين لأوليائهم.

و- **وحي الله إلى ملائكته**:قال تعالى:(

[3].

-**الوحي: شرعا**: يقول الشيخ **محمد عبده:** بأنه((عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة.فالأول بصوت يتمثل لسمعه،وبغير صوت،ويفرق بينه وبين الإلهام

4- سورة مريم الآية 11.

1- سورة الأنعام الآية121.

2- سورة الأنفال أية 12.

بأن الإلهام وجدان تعرفه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى؟وهو أشبه بوجدان الجوع،والعطش،والحزن والسرور)).

ويعرفه **الزرقاني:**((أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل من أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم،ولكن بطريقة سرية، خفية غير معتادة للبشر)).

وقد يأتي **بمعنى الإسرار**،كقوله تعالى :"(

)".[1]

وقوله تعالى:( ): قال بعضهم:ألهمتهم ... ولذلك فالإلهام يسمى وحيا،وكذلك الإشارة والإيماء تسمى وحيا.[2]

قال عز وجل:(،أي[3](وحيا:فيعلمه: بما يعلم البشر أنه أعلمه إما **إلهاما** أو **رؤيا**،وإما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى،أو قرآنا يتلى عليه ، كما أنزله على سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– ، وكل هذا إعلام [4]،

3- سورة الأنعام الآية 112.

1- سورة المائدة الآية111

2- سورة الشورى الأية51.

3- ابن منظور،معجم سبق ذكره،ص614 حرف: وحي

فالإعلام:يكون بالكسب،أو بالتنبيه والإلهام أخص منه،وهو كشف باطني معنوي أو حدس يحصل به العلم للإنسان في حق نفسه،وهو في مقابل الكشف الصوري كحال سارية مع عمر–رضي الله عنه–[1]

وقد تضمنت الآية معاني الوحي الاصطلاحي:وقد سئل النبي–صلى الله عليه وسلم–:عن كيفية الوحي إليه؟في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة–رضي الله عنها–أن الحارث ابن هشام –رضي الله عنه–سأل الرسول–صلى الله عليه وسلم–فقال:يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟فقال الرسول–صلى الله عليه وسلم–:((**أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال،وأحيانا يتمثل الملك لي رجلا فأعي ما يقول**[2])).

إذن فأقسام الوحي الاصطلاحي:أولا:إلقاء المعنى في قلب النبي–صلى الله عليه وسلم–أو:النفث في روعه بواسطة الملك جبريل–عليه السلام–قال النبي–صلى الله عليه وسلم–:((**إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**[3]...)).

ثانيا:الكلام من وراء الحجاب:وهو أن يكلم الله النبي–صلى الله عليه وسلم–بكلام يسمعه ويعيه ولا يرى المستمع المتكلم،كما حدث مع موسى–عليه السلام–ومع نبينا–صلى الله عليه وسلم–ليلة الإسراء والمعراج.

ثالثا:أن يبعث رسولا وهو جبريل–عليه السلام–فكان يهبط على النبي–صلى الله عليه وسلم–في صورتين:

الصورة الأولى:أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس.

4-القاشاني،معجم الأصطلاحات،ص92.

5- رواه البخاري ومسلم،تحت رقم(2)،(2333).

1- رواه الطبراني،رقم(166 /8)

الصورة الثانية:أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه فيعي ما يقول[1]،وقد رآه النبي–صلى الله عليه وسلم– في صورته الحقيقية:مرتين،في غار حراء،وعند الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى،وكان يتمثل للنبي

–صلى الله عليه وسلم–وأصحابه أحيانا في صورة رجل كما حدث أن جاءهم في صورة " دحية الكلبي" في حديث–عمر–رضي الله عنه–المشهور:((**بينما نحن جلوس عند النبي–صلى الله عليه وسلم–إذ أقبل علينا رجل شديد سواد الشعر**،....[2])).

ثم يأتي بعد الوحي:"الكرامة":وهي نوع من أنواع الكشف يحدثه الله على أيدي عباده الصالحين،فهي خاصة بفئة معينة تكون على طريق التقوى والصلاح.

2–الكرامة : لغة مصدر كرم يقال كرم الرجل كرامة من العز والعزازة،وهي اسم يوضع للإكرام،كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة.والغارة موضع الإغارة..ويقال الكرم:الرجل المسلم..وفي الحديث:(**إن الكريم ابن الكريم،ابن الكريم:يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق لأنه:اجتمع له شرف النبوة،وكرم الأخلاق والعدل ورئاسة الدنيا والدين**).[3]

إصطلاحا:

أ) تطلق على عدة معاني فتطلق أولا: بمعنى ظهور أمر خارق للعادة على يد شخص ظاهر الصلاح غير مقارن لدعوى النبوة والرسالة.فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون **استدراجا** وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون **معجزة**.

2- عبد الله حشروف،الإيضاح في علوم القرآن،مرجع سابق،ص26.

3- صحيح مسلم،تحت رقم 1728.

1- ابن منظور، معجم سبق ذكره، أكرم"،ج(م،ه)المجلد5. ص"359.4595"

ب) وتطلق بمعنى الإعزاز والتفضيل والتشريف،والكرامة الإنسانية:تطلق على قيمة الإنسان من جهة ما هو ذو طبيعة عاقلة،لذلك قال باسكال:تقوم كرامة الإنسان على الفكر،ومبدأ الكرامة الإنسانية:أحد المبادئ التي بنى عليها(كانط)مذهبه الأخلاقي..وأن كرامته:غاية لا وسيلة وهي مقدمة على كل شيء[1].

ج) وتطلق بمعنى إكرام الضيف[2].إذن:**فالكرامة**:لا تكون بدعوى النبوة.وإذا كانت بدعواها فهي **المعجزة**،وهو:الفرق بينها وبين "**المعجزة**".

3- فالمعجزة

لغة: هي ما يعجز الخصم عن التحدي.

اصطلاحا:

أمر خارق للعادة معروف بدعوة النبوة يقصد بها إظهار صدق من ادعى النبوة مع عجز المنكرين عن الإتيان بمثله [3]،وهي بهذا لها سبعة شروط:1-أن يكون المعجز فعل الله،2- أن يكون خارقا للعادة،3- أن تتعذر معارضته،4-أن يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة،5- أن يكون موافقا للدعوى،6- أن لا يكون مكذبا لمدعي النبوة،7-أن لا يكون متقدما على الدعوى[4]، كما أن الإعجاز في الكلام:هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق.[5]،وقد تسبق معجزات الأنبياء وقوع أشياء تكون توطئة لظهور هذا النبي واستعداده لما سيحل به وهو ما يسمى:"بالإرهاص".

4- فالإرهاص:

2- جميل صليبا،معجم سبق ذكره،حرف:الكاف،ص:227.
3- الجرجاني،التعريفات،معجم سبق ذكره،باب الكاف.ص154.
1- أبو عمر محمد بن عبد الملك الزغبي،كرامات الأولياء،دار الغد الجديد،ط1،سنة2013.ص23
2- جميل صليبا،معجم سبق ذكره،حرف:الميم،ص391.
3- الجرجاني،التعريفات،معجم سبق ذكره ،باب الألف،ص30.

ما يظهر من الخوارق قبل ظهور النبي،كالنور:الذي كان في جبين آباء:نبينا–صلى الله عليه وسلم–وإحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة النبي قبل بعثته.

وهو أيضا:ما يصدر عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قبل النبوة من أمر خارق للعادة.قيل:إنها من قبيل **الكرامات**،فإن الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الأولياء[1].

وعلى هذا فالكرامة أعم من الإرهاص.

ويمكن أن تحدث أو:تقع لغير الصالحين بعض الأمور تكون في أعين الناس خوارق كما يفعل بعض السحرة من إخبار بالغيب،أو بعض الأمور المستقبلية،وهو ما يسمى:"**استدراج**".

5– فالاستدراج:

ما يظهر من خارق للعادة على أيدي كافر أو فاسق،والصلة بين:الاستدراج والكرامة الضدية:من حيث المقصود.

– **فالاستدراج** معناه: أدناه على التدريج،جاء في التنزيل:(

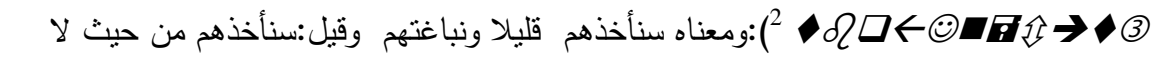
[2]):ومعناه سنأخذهم قليلا ونباغتهم وقيل:سنأخذهم من حيث لا يحتسبون.

وذلك أن الله يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به فلا يذكرون الموت،فيأخذهم على:غرتهم.

4- الجرجاني،التعريفات،المعجم نفسه،باب الألف،ص17.
1- سورة الأعراف الآية182

ولهذا قال عمر – رضي الله عنه– لما حملت إليه كنوز كسرى:"**(اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا)**[1]"،ولإستعاذة عمر–رضي الله عنه–من الاستدراج ما يوضح خطورته خصوصا وأن الله عاقب الأقوام السابقة بالاستدراج فهو يمهلهم ولكنه لا يهملهم.

وأيضا تأتي: استدرجه بمعنى خدعه حتى حمله على أن درج في ذلك [2].

<u>ويأتي بمعنى الاستدراج</u>:

أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى أقصى عمره للابتذال بالبلاء والعذاب،وله عدة معاني أخرى:

– الإهانة بالنظر إلى المآل.

– أن تكون بعيدا عن رحمة الله قريبا من عذابه.

– الدنو إلى عذاب الله بالإمهال قليلا قليلا.

–أو:أن يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عال ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكا.[3]

أما العلاقة بين:"**المكاشفة والكرامة**" فإن **المكاشفة**:من يصل إليها يصل لأعلى مقامات الحقائق،وهي الحقائق: التي يقصدها العارف،وتكون جزء من الكرامات الوهبية.

تبقى **الفراسة،الحدس والإلهام**:لأهميتهم عند علماء الصوفية،وكذلك لأنهم من أنواع الكشف،سنقوم بتعريفهم أيضا للتمييز فيما بعد بينهما وبين المكاشفة.

2- البيهقي،السنن الكبرى،رقم(12208).

3- إبن منظور، لسان العرب،معجم سابق،ص768 .

1- الجرجاني،التعريفات،معجم سابق ،ص20،باب الألف.

6- فالفراسة: من قولك تفرست فيه خيرا وتفرس فيه الشيء:توسمه فيه.

وفي الحديث:((**اتقوا فراسة المؤمن**[1])).

قال ابن الأثير:يقال بمعنيين:أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث:وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس.والثاني:نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق،فتعرف به أحوال الناس،وللناس فيه تصنيفات كثيرة قديمة وحديثة،واستعمل الزجاج منه أفعل فعال، وقال: أفرس الناس أي أجودهم وأصدقهم فراسة ثلاثة:"امرأة العزيز في يوسف وابنة شعيب في موسى، وأبو بكر في توليه عمر رضي الله عنه".

وهو يتفرس : أي يثبت وينظر ومنه :رجل فارس النظر.[2]

أما الفراسة:في اللغة:التثبت والنظر.

وفي اصطلاح أهل الحقيقة:مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب [3].فالفراسة بحسب تعريفات الجرجاني:أنها تلتقي مع المكاشفة في معرفة ومعاينة الغيب،لكن المكاشفة لا تنعت بالبيان.وكلاهما نوع من أنواع المعرفة:اليقينية.

وأما"الفراسة":فهي والإلهام عند المتصوفة:قسم من أقسام الأدوية:(القسم السادس من مقامات المتصوفة).

- وهي طارئة نادرة.[4]

2- سنن الترمذي والجامع الصحيح،رقم3199

3- ابن منظور، لسان العرب ،معجم سابق، ص 118.

1- الجرجاني،التعريفات،معجم سابق، ص139،باب الفاء.

2- الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين،دار الكتب العلمية،بيروت،1988، ص82.

7-**الحدس**:سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب ويقابله الفكر وهو أدنى مراتب **الكشف**[1]،وهو أيضا:جودة حركة لقوة الفهم إلى اقتناص المجهول،قال **ابن سينا**:يمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء،وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية،إلى أن يشتعل حدسا أعني قبولا لإلهام **العقل الفعال***،في كل شيء،فترسم فيه الصور التي في **العقل الفعال** من كل شيء،إما دفعة،وإما قريبا من دفعة،والفرق بين **إلهام** الغزالي و**حدس** ابن سينا أن العلم الذي يقع في النفس عند الأول فتح من الله،على حين أنه عند الثاني:فيض من العقل الفعال،ولا بد في كلا الحالين من حصول الاستعداد في النفس لقبول الحقائق[2].

8- الإلهام:

ما يلقى في الروح ويلهم الله الرشاد، وألهم الله فلانا:يلهمه،وهو ما وقع في القلب من العلم،وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال،ولا نظر،كما في قوله تعالى:***(فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوَاهَا*[3]*)***أي:علمها وقد يكون التعليم:بخلق العلوم في نفس الإنسان،وقد يكون بنصب الأدلة:السمعية والعقلية،أما الإلهام: فلا يجب إسناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة،وإنما هو إسم لما يهجس في القلب من الخواطر فيفهمه بأسرع ما يمكن،لذا يقال فلان ملهم إذا كان:يعرف بفطنته وذكائه ما لا يشاهده ولا يتعلمه لذلك يفسر الوحي للنحل بالإلهام دون التعلم،وهو الإلهام الغريزي للحيوان: كما سبق ذكره.

3- الجرجاني،معجم سابق،ص94،باب الحاء

*- يقصد ابن سينا بالعقل الفعال:الله سبحانه وتعالى والذي تفيض منه المعارف،والعقول العشرة السماوية.

4- جميل صليبا،المعجم نفسه،ص230،231

1- سورة الشمس،الآية8.

يقول تعالى:(***وَأَوحَى رَبُّكَ إِلَى النَحلِ أَنِ اتَخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا***[1])،والإلهام الفطري للإنسان يقول تعالى:(***وَأَوحَى رَبُّكَ إِلَى أُمِ مُوسَى أَنِ ارضِعِيه***[2]) ووحي الله لملائكته.

والإلهام عند **ابن سينا**:هو ما يلقيه العقل الفعال في نفس الإنسان،**والحدس**:هو قبول هذا **الإلهام**،**ومن الإلهامات**:ما يكون للإنسان كالكشف الباطني وهو ما أشار إليه **الغزالي**[3].

<u>فالإلهام</u>: أن يلقى الله في النفس أمر يبعثه على الفعل أو: الترك وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده [4].

وله عدة معاني أخرى:- ما يلقي في الروح بطريق **الفيض**.

ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة.

وبذلك يكون:مصدر **الإلهام** باطني،ومصدر **الوحي**:خارجي،بل الإلهام من الكشف المعنوي،والوحي من الشهودي،لأنه يحصل بشهود الملك وسماع كلامه،أما الإلهام فيشرق على الإنسان من غير واسطة ملك،وذلك بالوجه الخاص الذي للحق مع كل موجود،إذن فالإلهام أعم من الوحي،لأن الوحي:مشروط بالتبليغ،ولا يشترط ذلك في الإلهام[5].

والفرق بينه وبين الإعلام:أن الإلهام أخص من الإعلام لأنه قد يكون بطريق الكسب،وقد يكـــون بطريق بالتنبيه.[6]

2- سورة النحل الآية68،69
3- سورة القصص الآية،7
4- جميل صليبا،المعجم السابق،ص130،131 بتصرف.
5- ابن منظور،لسان العرب،معجم سابق،ص 389 حرف:الميم.
1- جميل صليبا،معجم سبق ذكره،ص131
2- الجرجاني،التعريفات،معجم سبق ذكره.ص32،باب الألف.

والإلهام:في تعريفات الصوفية: مقام من المقامات،وهو مقام المحدثين وهو أعلى درجة من الفراسة،كما أن:مقامه:عتيد [1].

وفي هذا الشأن يقول:العيسوي عبد الرحمان[2]:

أن الغزالي قد أشار إلى ما يعرف اليوم بالشخص العبقري أو شديد الذكاء وإلى عملية الإلهام،ويسميها"**الكشف**"أو البصيرة الباطنية،ويفرق **بين الإلهام** أو ما يسمى اليوم بال**حدس**،وبين التفكير العقلي،فالإلهام في نظره تلقي دون استدلال،أما النظر العقلي فيقوم على أساس الاستدلال أي الانتقال من المقدمات إلى النتائج،أما الإلهام فهو المعرفة الفجائية التي تهبط على ذهن الإنسان على حين فجأة،كالوحي أو الإلهام دون مقدمات.وإن كان يفرق بين الإلهام ويرى أنه يحدث من الداخل..والوحي فيأتي من الخارج كما يحدث للأنبياء والرسل والعلم عنده يعتمد على الاستدلال،أما أهل العرفان والأدب والفن والشعر فأهل كشف أي أهل إلهام.[3]

فالمواهب التي تتفجر من داخل الإنسان والتي تميز العبقري عن غيره من الناس سواءا في مجال الأدب أو الفن والشعر هي من قبيل الإلهام التي يجعلها العيسوي من الأقسام التي يقول بها الغزالي،والقسم الثاني الوحي:فيأتي من الخارج عن طريق الملك.

ففي نظر الغزالي:الإلهام هو باب الملكوت من داخل القلب،لأنه للقلب بابين:

1-باب مفتوح إلى الخارج وهو الحواس الخمس المتمسكة بعالم المثل.

3- الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين،دار الكتب العلمية،بيروت،1988،ص:380.
4- أستاذ علم النفس بكلية الآداب،جامعة الإسكندرية،مصر.
1- العيسوي عبد الرحمان ،علم النفس عند علماء الإسلام،،دار الراتب الجامعية،ط1،سنة2004،بيروت لبنان.ص139،138.

2- باب الملكوت إلى داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي..ولكن المعرفة عنده لا تعتمد على الإلهام كثيرا وإنما هي تتولد من التفكير الذي يفيد تكثير العلم واستجلاب معارف جديدة ليست حاصلة[1]،وهذا الكشف الداخلي الذي تكلم عليه عالم النفس العيسوي يذكره الغزالي في كتابه مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار:

بأنه قد انكشف لأرباب البصائر الأنوار الملكوتية[2]..وصولا لمعراج اللقاء بالله.

فللغزالي:نظرية تتعلق **بالإلهام** وهي ما يتفجر من داخل القلب والتي تميز الملهم والعبقري عن غيره كما أن مصدر **الوحي**:خارجي ويكون عن طريق الملك.

المبحث الثاني: مفهوم المكاشفة في اصطلاحات المتصوفة:

تمهيد:

لفظ الكشف من الألفاظ التي إذا اجتمعت مع لفظ **المكاشفة** فإن لكل مصطلح معنى خاص به كما سيأتي بيانه:في أوائل طريق المريد الذي يحدث له **الكشف**،والذي يسمى:**البارقة** ولكنه سرعان ما يزول،وأما **المكاشفة**:فهي المقام العتيد والذي لا يقع إلا لخاصة الخاصة وهو ما جعله الطوسي- رحمه الله-حق اليقين ولا يكون إلا لمن اجتباهم الله وقربهم بقربه،وإذا تفرقا وأطلق أحد اللفظين لوحده: فإنه على العموم يطلقان على بعضهما البعض،فيطلق الكشف: ويراد به **المكاشفة**.

2- مرحبا محمد عبد الرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،منشورات عويدات،بيروت-باريس،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط3،1983،ص717،بتصرف.

3- أبي حامد الغزالي،مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار،مصدر سابق،ص135.

وأما مفهوم المكاشفة في اصطلاحات المتصوفة فهي كالآتي:

أ) **يجعل سراج الدين الطوسي*(توفي سنة378هـ) في كتابه اللمع في التصوف:** اليقين:الذي هو باب من أقسام الأصول في القسم السابع:هو المكاشفة وذلك بعد أن يقسم اليقين لثلاث مراتب ويجعل مرتبة الكشف: هي"عين اليقين": والتي يتوصل إليها عن طريق المشاهدة،والكشف[1].

فيقول " باب "حق اليقين" :

وقد ذكر الله تعالى اليقين في مواضع من كتابه على ثلاثة أوجه:(علم اليقين،وعين اليقين،وحق اليقين).

قال النبي:- صلى الله عليه وسلم-:(**سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة[2]**).

وقال عامر بن عبد قيس:-رحمه الله- "لو كشف الغطاء ما ازدادت إلا يقينا": يعني عند معاينتي لما آمنت به من الغيب:وهذا الكلام:عبارة عن غلبات ووجد وتحقيق،وقد:روى عن النبي-:صلى الله عليه وسلم-:((**الخلق يبعثون على ما يموتون عليه[3]**)).

وقال يعقوب النهرجوري: -رحمه الله- :"إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة"، ثم بعد ذلك يبين الطوسي رحمه الله بأن اليقين هو **المكاشفة**[1]،إن درجة اليقين:الذي هو ضد

---

*- هو أبو نصر السراج الطوسي له كتاب: « اللمع في التصوف »، وهو بمثابة موسوعة في تاريخ التصوف الإسلامي وطبقات الصوفية وعلومهم ومصطلحاتهم وأقوالهم وأحوالهم.

1- الطوسي سراج الدين ،اللمع في التصوف.تحقيق،دكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور :دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ،ببغداد.ص 104،103،102

1- ابن تيمية،مجموع الفتاوى،رقم03/330، والبحر الزخار مسند البزار.

2- صحيح البخاري تحت رقم:(5919).

الشك والذي يجعل قلب الإنسان لا يتزعزع مهما وقع له حتى كأنه يرى الأشياء رؤية الأعيان والطوسي–رحمه الله–يقسمه إلى ثلاثة أقسام:

واليقين:هو المكاشفة :"والمكاشفة"على ثلاثة أوجه:

أ)– مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة.

ب)– مكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد.

ج)– مكاشفة آليات وإظهار القدرة للأنبياء عليهم صلاة والسلام بالمعجزات ولغيرهم بالكرامـــات والإجابات.

واليقين حال رفيع وأهل اليقين ثلاثة أحوال و يقسمهم–رحمه الله–إلى ثلاثة أقسام:فيبدأ بمقام العابد وهم الأصاغر.

1– الأصاغر:هم المريدون والعوام.

وهو كما قال بعضهم: أول مقام اليقين :" الثقة بما في يد الله واليأس بما في أيدي الناس" هو قول **الجنيد***:رحمه الله حيث سئل عن اليقين قال:"**اليقين ارتفاع الشك**" .

وقال **أبو يعقوب** :إذا وجد العبد الرضا بما قسم الله فقد تكامل به اليقين وسئل رويم عنه:" **قال تحقيق القلب بالمعنى على ما هو به**".

3- الطوسي سراج الدين ،اللمع في التصوف.مصدر سبق ذكره.ص103،102.

*- هو الجنيد بن محمد الخزاز القواريري(و220،ت297)سيد الطائفة ومن أئمة القوم وسادتهم،أحد علماء السنة والجماعة.

2 الأوساط: وهم الخصوص: وهو ما سئل:**ابن عطاء الله**:عن اليقين:قال:"**مازالت فيه المعارضات على دوام الأوقات** "

أي أن الإنسان في هذا المقام يزول عنه كل ما يعترض إيمانه من شكوك وأوهام في كل الأزمنة والأوقات فيعيش حياة كلها يقين[1] وهذا المقام يقصد به الطوسي مقام المريد.

قال **النهرجورى**:"**العبد إذا تحقق باليقين ترحل من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطنا**".

3 الأكابر: وهم خصوص الخصوص.

وهو ما قال –عمر ابن عثمان المكي–:"**اليقين في مجمله تحقيق الإثبات لله–عز وجل–بكل صفاته**".

وقال حد اليقين:دوام انتصاب القلوب لله–عز وجل– بما أورد عليها اليقين من حركات ما لاقى به الإلهام.

وقال **أبو يعقوب**:" لا يستحق العبد اليقين حتى يقطع عن كل سبب حال بينه وبين الله تعالى من العرش إلى الثرى حتى يكون الله لا غير،ويؤثر الله تعالى على كل شيء سواه،وليس لزيادات اليقين نهاية كلما تفهموا وتفقهوا في الدين ازدادوا يقينا على يقين[2]،وهذا مقام العارف الذي وصل إلى أعلى درجات اليقين.

1- الطوسي سراج الدين ،اللمع في التصوف.مصدر سبق ذكره،ص،104.

1- الطوسي سراج الدين ،اللمع في التصوف.مصدر سبق ذكره،ص:103،104،

واليقين أصل جميع الأحوال وآخرها وباطنها،وجميع الأحوال ظاهره اليقين،ونهاية اليقين:تحقيق تصديق بالغيب،بإزالة كل شك وريب،وقد جعل نهاية المكاشفة:المشاهدة:فيقول:ونهاية اليقين:الاستبشار وحلاوة المناجاة:وصفاء النظر لله بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بإزالة العلل ومعارضة التهم.

قال تعالى:( ) .وقال:( )[1]

( )[2]،قال الواسطي:"إذا أيقن بالمعنى:وقع له مشاهدة الأحوال وإذا انكشف له حقائق المعنى خرج من استجان الخلق.خاطبهم بالتقريب وهو الكشف عن الصديقية،وخاطبهم :تعالى **بالمشاهدة***فقال:(

( )[3]. الشهداء: باعوا نفوسهم، والصالـــحون: الذين هم لأمانتهم وعهـــدهم راعون [4].

فمن لم يحكم بينه وبين الله التقوى ومراقبة الله سبحانه وتعالى لا يصل إلى درجة **المكاشفة**.لذا حتى يصل الإنسان للكشف بممارسة الرياضة وتقديم مجاهدة التقوى والمراقبة.

وقال **عمر المكي**:"**المشاهدة زوائد اليقين، سطعت بكواشف حضور غير خارجة عن تغطية القلب)**.

والمشاهدة تقتضي حال اليقين.

فالطوسي–رحمه الله–يقسم مراتب المعرفة اليقينية التي تحصل للصوفي على النحو التالي:

2- سورة الحجر الأية 75.
3- سورة الذاريات الأية 20.
*- تطلق على رؤية الأشياء بدليل التوحيد.
4- سورة النساء الأية 69.
5- الطوسي سراج الدين ،اللمع في التصوف،المصدر سبق ذكره ،ص104.

1- **علم اليقين**:وهو ما يتوصل إليه عن طريق النظر،والاستدلال،مثل:أن تعقل الموت.

2- **عين اليقين**:وهو ما يتوصل إليه عن طريق المشاهدة،والكشف،مثل:معاينة الملائكة.

3- **حق اليقين**:وهو فناء العبد في الحق،مثل: أن تذوق الموت.

فإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب،وانشرح الصدر،وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة،وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية.[1]فهذا الفناء والاتصال هو من أعلى التي يصل إليها العارف،فتكشف عنه الحجب وتشرق له أنوار الحقائق الإلهية.

ب)ولمعرفة الفرق بين "الكشف":و"المكاشفة": نذكر قول أبوبكر الكالاباذي*(توفي ستة380هـ):

يقول في:كتابه " التعرف لمذهب أهل التصوف:فيقول في أوائل طريق المريد:

في الباب الثالث والستون يقول: وأما القول في " **المريد والمراد** "

المريد:مراد في الحقيقة،والمراد مريد لأن المريد لله تعالى لا يريد إلا بإرادة من الله عز وجل تقدمـــت له.قال تعالى:***(يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَه)***[2] ،"وقال:***(رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ)***[3]،

وقال:***(ثُمَ تَابَ عَلَيهِم لِيَتُوبُوا)***.[1]

1- محمد أحمد لوح،جناية التأويل على العقيدة الإسلامية،دار ابن القيم للنشر والتوزيع،الرياض،ط2010،2م،ص494.

* - هو الإمام تاج الإسلام أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري المتوفى سنة380ه،990م .وكتابه:"التعرف"من أقدم وأنقى وأصفى ما كتب عن هذا العلم ورجاله. كتبه في العصر الذهبي للتصوف في أوائل القرن الرابع للهجرة. القرن الذي بلغ فيه التصوف كماله العلمي والفني واستكمل فيه التصوف علومه ومناهجه وآدابه وسلوكه ومقاماته. وجاء كتاب الكالاباذي صورة كاملة لعصره الذهبي بل صورة للتصوف في أعلى وأنقى موارده.

2- سورة المائدة الآية:54.

1- سورة المائدة الآية:119.

فكانت إرادته لهم سبب إرداتهم له إذ علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه،ومن أراده الحق فمحال أن لا يريده العبد فجعل المريد مرادا والمراد مريدا.

وبعد أن يتكلم – رحمه الله– عن المريد والمراد: يبدأ فيشرح الفرق بينهما: فيستثني:

بقوله غير أن **المريد:**هو الذي سبق اجتهاده كشوفه. "

والمراد:هو الذي سبق كشوفه اجتهاده.

ويشرح ذلك: بقوله **فالمريد:**هو الذي قال تعالى عنه:([2]).وهو الذي يريده الله تعالى:فيقبل بقلبه ويحدث فيه لطفا يثير منه فيه الاجتهاد فيه والإقبال عليه،والإرادة له ثم يكاشفه الأحوال كما قال حارثة –رضي الله عنه – :"**عزفت نفسي عن الدنيا فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي: ثم قال:"وكأني أنظر إلى عرش ربي بارز"،فاخبر أن كشوف أحوال الغيب له كان عقب عزوفه عن الدنيا.**

وفي هذا الحديث الشريف أخبر:النبي–صلى الله عليه وسلم–حارثة بقوله:**قد عرفت فألزم**،يدل على أن الكشف الذي يأتي بعد المجاهدة هو نوع عرفان فأقر:النبي –صلى الله عليه وسلم–:"**حارثة**" **وأخبره بالملازمة**[3] ".

والمراد:عند الكالاباذي هو الذي يجذبه الحق جذبة القدرة ويكاشفه بالأحوال فيثير قوة الشهود منه اجتهادا فيه وإقبالا عليه وتحملا لأثقاله،كسحرة فرعون لما:كوشفوا بالحال في الوقت سهل عليهم

2- سورة التوبة،الآية:118.

3- سورة العنكبوت الآية69

1- الهيثمي،مجمع الزوائد،رقم 1/62.

تحمل ما توعدهم به فرعون فقالوا:(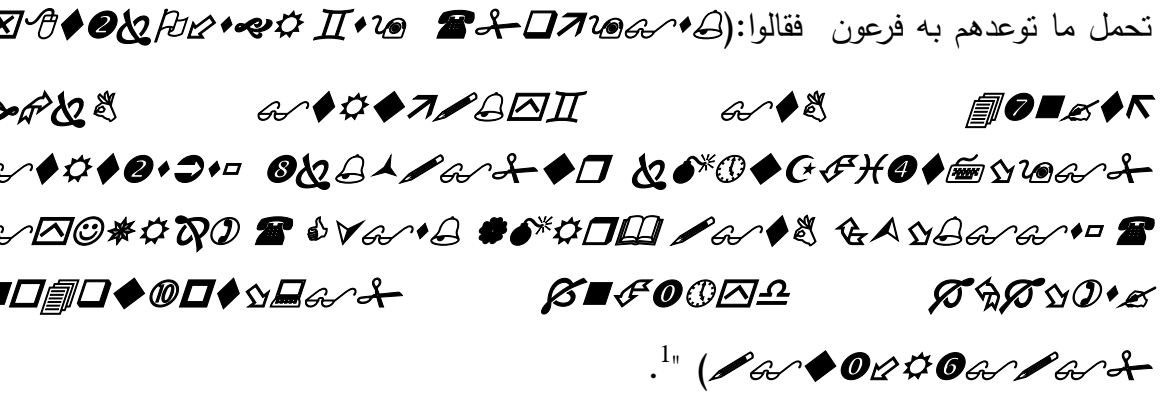
.[1]"

وكما فعل – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يريد قتل:الرسول –صلى الله عليه وسلم– فأسره الحق في سبيله،وكقصة "إبراهيم بن أدهم":خرج يطلب الصيد متلهيا فنودي:ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت مرتين ونودي في الثالثة: من: "قربوس سرجه":فقال والله لا عصيت الله بعد يومي ما عصمني ربي.:فهذه جذبة القدرة :" كوشفوا بالأحوال فأسفطوا: أي ابتعدوا عن النفوس والأموال. ثم يورد –رحمه الله–: شعرا لأبوا عبد الله البرقي :

مريد صفا منه سر لفؤاد،فهام به السر في كل واد *ففي أي وادي استقى لم يجد له ملجآ غير مولى العباد صفا بالوفى وفى بالصفا ونور الصفا سراج الفؤاد*أراد وما كان حتى أريد فطوبى له من مريـــد مراد*[2].

فهذه بوارق وكواشف لسالك الطريق المريد والمجذوب بقدرة الجذب الإلهي تعينه على السير في الطريق وتحمل مشاقه.

<u>ج)وأما قول أبو القاسم القشيري*(توفي ستة465هـ) في الرسالة القشيرية عن المكاشفة فيقول:</u>

2- سورة طه الآية 72.

3- الكالاباذي محمد أبو بكر،التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 138 -139 .

*- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية،وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف،ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول،الملقب ب:زين الإسلام (ولد376ه،توفي465ه).

في"رسالته":**المكاشفة:هي حضور بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الريب ولا محجوب من نعت الغيب."**[1]

فهي لا تحتاج إلى دليل،ولا إلى تطلب السبيل ولا إلى طريق إليها،لأنها برعاية ولطف إلهي ولا إلى مستجير وهو من طلب الإجارة عن ظلم أو ضيم لأنها لا تدع مجال للشك ودواعيـــه ولا محجوب،أي مبعد عن نعت الغيب.

فالمكاشفة:فيها إخبار ببعض ما في اللوح المحفوظ،ثم يورد الفرق بينها وبين المشاهدة و**المحاضرة****،فصاحب:المحاضرة مربوط بآيات:

الله،وصاحب:**المكاشفة:**مبسوط:بصفاته،وصاحب:**المشاهدة:**ملقى بذاته.ثم يقول:صاحب **المحاضرة:**يهديه عقله،وصاحب **المكاشفة:**يدنيه علمه،وصاحب **المشاهدة:**تمحوه معرفته:أي أن معرفته بالله عند وصوله لهذا الحد تمحوه كأنه لا يرى ولا يشاهد إلا الله.

د) جاء في كتاب منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروى*(توفي 481هـ):

تقسيمه لمنازل:

السائرين:لبدايات،أبواب،معاملات،أخلاق،الأصول،الأدوية،الأحوال،الولايات،الحقائق.ويجعل المكاشفة أول أبواب الحقائق ووصفه لمنازل الطريق الصوفي ومقاماته فيجعل لها بدايات ونهايات ويقول أن

1- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية،مكتبة المصطفى الإلكترونية، ص 83 .

**- حضور القلب مع الحق في الإستفاضة من أسمائه تعالى.

*- هو شيخ الإسلام الإمام القدوة الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي مصنف كتاب: ذم الكلام،ومنازل السائرين،وشيخ خراسان من ذرية صاحب النبي أبي أيوب الأنصاري, مولده في(سنة 396ه،توفي481ه) وسمع من عبد الجبار بن محمد الجراحي جامع أبي عيسى كله.

قسم الحقائق عشرة أبواب: النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات،التي هي الأساس بمشاهدة الإخلاص والمتابعة:أولها:**المكاشفة**،2: **المشاهدة**،3: **المعاينة**،4:**الحياة**،5: **القبض**،6: **البسط**،7: **السكر**،8: **الصحو**، 9:**الاتصال**،10:**الانفصال**،فما يهم هو أول باب من أبواب الحقائق:(**المكاشفة**):فيقول **<u>باب المكاشفة:</u>**

قال عز وجل:(﴿ ﴾)[1]،**المكاشفة:** مهاداة الستر بين متباطنين، ويقصد بالمتباطنين:من الباطن أي اطلع كل منهما على باطن صاحبه وسريرته،فهو يقسمها –رحمه الله–إلى ثلاث درجات:وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجودا، وهي على ثلاثة درجات:**الدرجة الأولى**:مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح وهي أن تكون مستديمة.

فإذا كانت حينا دون حين : لم يعارضه تفرق أوقاطع أو أي سبب من الأسباب غير أن **الغين:** ربما شاب مقامه على أنه قد بلغ مبلغا لا يلفته قاطع ولا يلويه سبب ولا يقتطعه حظ وهي درجة القاصد فإذا استدامت فهي:**الدرجة الثانية.والغين**:حجاب رقيق وغشاوة تحجب القلب عن الحقائق وعن الإيمان.

وأما **الدرجة الثالثة:** فمكاشفة عين لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال، أي أنها رؤية بالعين وليست سماع أو أحوال لأن أقوى الحواس هي الرؤية بالعين وهي اليقين الحقيقي،وقد سبق ذلك عند سراج الطوسي قوله:أنها **عين اليقين.**

1-سورة النجم الآية 10.

ثم يورد بأن هذه:**المكاشفة** لا تذر سمة تشير إلى التذاد أو تلجئ إلى توقف أو تنزل على ترسم ويجعل:غاية **هذا الكشف:المشاهدة**[1]،وهو المقام الذي يأتي بعدها مباشرة فكانت الغاية من **الكشف المشاهدة**:نقل ابن خلدون عن بعض الصوفية:أن الكشف على مراتب:فمبدؤها:**المحاضرة**،وهي آخر مراتب الحجاب،وأول مراتب الكشف،ثم بعدها **المكاشفة** ثم بعدها **المشاهدة**،وقد ذكر قول **الجنيد**:صاحب **المحاضرة** مربوط بإنيته وصاحب **المكاشفة** مربوط بدينه وعلمه،وصاحب **المشاهدة** تمحوه معرفته.

<u>-وسنشرح كلام الشيخ الهروي-رحمه الله- من خلال مدارج السالكين لابن قيم الجوزية*(توفي751هـ)</u>:

وقد اخترت شرح ابن القيم لأنه إذا ذكر:"منازل السائرين" إلا وذكر معه:"مدارج السالكين"فيقول في(**باب المكاشفة**): قال تعالى:" ﴿ ﴾ "[2]،وجه احتجاجه بإشارة الآية،أن الله سبحانه كشف لعبده:-صلى الله عليه وسلم- ما لم يكشفه لغيره،وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره،فحصل لقلبه الكريم من انكشاف الحقائق التي لا تخطر ببال غير ما خصه الله به،والإيحاء:هو الإعلام السريع الخفي ومنه" الوحا،الوحا "أي الإسراع ،الإسراع .

1- عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1988 .ص13.

*- هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز المكي الدمشقي الحنبلي،اشتهر بابن القيم لأن أباه كان قيما على المدرسة الجوزية(ولد691ه،توفي751ه)

2- سورة النجم الآية 10.

قوله تعالى:(ما أَوْحَى) أبهمه لعظمه فإن الإبهام قد يقع للتعظيم ونظيره قوله تعالى:( )[1].أي أمر عظيم فوق الصفة.

قال الشيخ:"المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين"،يريد أن المكاشفة إطلاع أحد المتحابين المتصافين صاحبه على باطن أمره وسره.

قوله:مهاداة السر: أي تردد السر:على وجه الألطاف والمودة.

قوله بين متباطنين: يعني بالمتباطنين: باطن المُكاشِف والمُكَاشَف فيحمل سر كل منهما إلى الأخر كما يحمل إليه هديته فيسري:سر كل واحد منها إلى الآخر،وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة:إلى حد كأنه يطلع ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال،ونعوت الجلال وأحست روحه بالقرب الخاص الذي ليس هو كقرب المحسوس من المحسوس،حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه،فإن حجابه هو نفسه،وإذا رفع إليه سبحانه عن ذلك الحجاب بحوله وقوته أفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب فصار يعبده كأنه يراه فإذا تحقق بذلك وارتفع عنه حجاب النفس وانقشع عنه ضبابها ودخانها وكشطت عنه سحبها وغيومها[2]:أي أن **المكاشف**:يقترب من ربه إلى درجة كأنه يراه إلى درجة رفع حجاب النفس وانقشاع ضبابها ودخانها وهي من أعلى الدرجات،ويقول الشيخ:وهي في هذا الباب: بلوغ ما وراء الحجاب وجودا .

1- سورة طه الأية78.

2- الهروي عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، دار الكتب العلمية،مصدر سابق،13،14.

ويشرح **ابن القيم**:قوله:"**وجودا**":احتراز من بلوغه **سماعا وعلما**،وكثيرا ما يلتبس على العبد أحدهما بالأخر، فأين وجود الحقيقة من العلم بها ومعرفتها؟ كما تقدم ذلك،فتعلق العلم بالقلب شيء، واتصافه بالمعلوم شيء آخر، فالتعلق به يتعلق بوجوده:لذلك قال" وجودا".

وقد جعل الشيخ الهروي أقسام المكاشفة على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى: مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ولا تكون مستدامة وهي درجة القاصد فإذا استدامت فهي:"**الدرجة الثانية**".فإذا كانت حينا دون حين ولم يعارضها تفرق كانت **الدرجة الثالثة**.

فالمكاشفة الصحيحة: علوم يحدثها الرب في قلب العبد ويطلعه على أمور تخفى على غيره، وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها،ويواريها عنه باليقين:أي الغشاء الذي يعرض للقلب،أو:بالغين:وهو أغلظ،أو بالران وهو أشدها.

فالأول:يقع للأنبياء كما قال النبي:-صلى الله عليه وسلم-:((**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله أكثر من سبعين مرة**[1])).

والثاني:"للمؤمنين".

والثالث: لمن غلبت عليه الشقوة: لقوله تعالى:(

.[2](

قال ابن عباس:" وهو الذنب بعد الذنب يغطي القلب حتى يصير كالران عليه".

1- صحيح مسلم،رقم(4999).

2- سورة المطففين الأية14 .

والحجب عشرة : 1- حجاب:التعطيل ونفي الحقائق:صفات وأسماء،2-: حجاب:الشرك،3- :حجاب: البدعة:القولية:كحجاب أهل الأهواء،:4-حجاب: البدعة العملية،5-: حجاب:أهل الكبائر الباطنة:كالكبر، 6-: حجاب: الكبائر :الظاهرة:وهم أقرب للتوبة من أهل الكبائر الباطنة،7-: حجاب: أهل الصغائر 8- كحجاب: أهل الفضلات،9- حجاب:أهل الغفلة،10-: حجاب:المجتهدين السالكين.

وهذه الحجب:تنشأ من أربعة عناصر:1): عنصر النفس،2):عنصر الشيطان،3):عنصر الدين،4):عنصر الهوى ،وهذه العناصر تفسد القول والعمل والقصد والطريق فتقطع طريق القول والعمل والقصد

ثم يرجع للكشف الصحيح: فيقول:بأنه المطابق لما عليه الأمر في نفسه.

ا) **وهو في العلم:** الكشف المطابق لما أخبر به الرسل.

ب) **وفي الإرادة** :الكشف المطابق لمراد الرب الديني من عبده.

وقولنا "الديني" :احتراز من مراده الكوني فإن كل ما في الكون موجب هذه الإرادة .

فالكشف الصحيح : أن يعرف الحق:الذي بعث الله به رسله،وأنزل به كتبه،معاينة لقلبه ويجرد إرادة القلب له، فيدور معه وجودا وعدما وهذا هو التحقيق الصحيح،وقوله:عن **الدرجة الأولى**:غير مستدامة فإذا استدامت صارت **للدرجة الثانية**،ولو كانت مستدامة لصارت الدرجتان **درجة واحدة**[1].

وقوله يشترط أن لا يقطع حكمها تفرق،لأن التفرق لابد أن يعرض ولكن لا يعارضها ويقاومها بحيث يزيلها.

"ولا يقطعه حظ ":أي لا يقطعه عن بلوغ مقصوده حظ من الحظوظ النفسية،أو الدنيوية.

1- عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، دار الكتب العلمية ،مصدر سابق،ص،14.

وأما الدرجة الثالثة: فمكاشفة عين: لا مكاشفة علم وهي مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ أو تلجئ إلى توقف أو تنزل إلى رسم وغايتها:"**المشاهدة** ".

وكانت مكاشفة عين: لغلبة نور الكشف على القلب فنزلت من القلب وحلت محل العلم ضروري الذي لا يمكن جحده،ولا تكذيبه بمنزلة المرئي والمسموع والوجدانيات،فكذلك المكاشفة:بالبصيرة تستلزم صحة القلب وعدم الحائل والشاغل وقرب القلب ممن يكاشفه بأسراره.

وهي مكاشفة عين اليقين التي يتوصل بها عن طريق الكشف والمشاهدة كما يقول الطوسي،في كلامه عن حق اليقين:**أما المقصود من هذا الكشف** : هو أن يكشف للسالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليها وعن عيوب نفسه ليصلحها،وعن ذنوبه ليتوب عليها فإذا انضم هذا الكشف إلى كشف تلك الحجب المتقدمة على قلوبهم وانقادوا وعملوا بمقتضى أوامره سارت القلوب إلى ربها سير الغيث إذا استدبرته الرياح .

والدرجة الثالثة مكاشفة عين : متعلقة بالحقيقة بخلاف الأولى أي:العلم وشرطه:أن يكون مطابقا لمعلومه وكشف العيان:أن يصير المعلوم مشاهدا للقلب، كما تشاهد العين المرئي [1]،وهي أعلى وأرقى المشاهدات لأنه لا شيء بعد الرؤية لا سماع ولا علم لذا كانت هذه الدرجة أعلى الدرجات.

هـ) جاء في معجم اصطلاحات الصوفية للقاشاني*:(توفي سنة730هـ):

يعرف المكاشفة **لغويا:لغة :من** مصدر كاشف وهي الإظهار والمبادأة والأصل فيها الكشف،وفي اللسان:(كشف)رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه وكشف الأمر : يكشفه كشفا: أظهره.

1- إبن القيم الجوزية، مدارج السالكين،تحقيق د.عاطف شاهين،دار الغد الجديد،ط1،سنة2014،ص352الـــى355.

*- عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم محمد القاشاني،توفي نحو 730 هـ / نحو 1330 م) هو متصوف من إيران له عدة كتب منها:شرح منازل السائرين،شرح فصوص الحكم لابن عربي،وكتاب:معجم اصطلاحات الصوفية..

وكشف عن الأمر:أكرهه على إظهاره،وكاشفة بالعداوة :أي بادأه بها .

وفي الحديث:((**لو تكاشفتم ما تدافنتم**[1]))،أي لو انكشفت عيب بعضكم بعضا،وقال ابن الأثير:" أن لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه،وهكذا فان المادة :تدور حول الإظهار وعدم الستر.

وبعد أن يذكر في الهامش تعريفاتها وشرحها،أي:"المكاشفة" يبدأ بذكر **مفهومها الصوفي:**

المكاشفة:هاهنا شهود الأعيان،وما فيها من الأحوال في عين الحق،فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية.

فالأحوال التي تهجم على القلب بالأذكار بعد الوصول إلى مرتبة":عين اليقين":هي التحقيق الصحيح بمطالعة ورؤية تجليات وظهور الأسماء الإلهية وانكشافها.

<u>ويذكر صورتها في البدايات</u> وهي الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية، **<u>وفي الأبواب:</u>** انفعال أي تأثير القوى النفسانية على معاني الأسماء الإلهية.

<u>وفي المعاملات:</u> التهدي أو الاهتداء للعمل بمقتضاها ،وإجابة والعمل بدواعيها.

<u>وفي الأخلاق:</u> الوقوف على كيفية التخلق بالأخلاق الإلهية،أي أن مقصوده:التأدب بآداب القرآن:كما قال:-صلى الله عليه وسلم-:((**أدبني ربي فأحسنت تأديبي**[2])) وقالت السيدة عائشة: لما سالت عن أخلاق -النبي صلى الله عليه وسلم-قالت:((**كان خلقه القرآن**[3]))،ثم يقول أن صورة

1- حديث غريب،النهاية في غريب الحديث والأثر،موقع الدرر السنية.

2- الزركشي،اللآلئ المنثورة،نشر موقع الدرر السنية.

3- مسند الإمام أحمد،رقم20056.

الكشف:في الأصول الشعور بأنوار التجليات الإلهية الباعثة على السلوك:المطلعة على شهود التجليات الأسمائية.

<u>وفي الأحوال :</u> تلألؤ أنوار الوجود الأسمائية المهيجة للمحبة الصادقة الجاذبة للســـالك إلى حضرة العندية.

<u>وفي الولايات</u> :انكشاف الحجب بصفاء صفات السالك وهذا ما يسمى:"**كشفا** ".

<u>أما في النهايات:</u> فدرجتها شهود أحدية الذات في صور الصفات، في مقام البقاء بعد الفناء [1].

ثم يذكر بعدها مباشرة " حقائق المشاهدة " فيصف المشاهدة:" بولاية الذات "، بعد أن كانت المكاشفة:قبلها "ولاية النعت" وبالتالي ترتفع بالمشاهدة الحجب ارتفاعا مطــلقا،بشهود الذات،بعد أن كان ينعت ويخبر به فأصبح ظاهرا بالمشاهدة والعيان.

1- عبد الرزاق القاشاني، معجم المصطلحات الصوفية:تحقيق،د عبد العال شاهين،ط1،دار المنار القاهرة،ص12.

المبحث الثالث:المكاشفة عند الفلاسفة المسلمون:

-تمهيد: ينقسم الفلاسفة المسلمون إلى قسمين:أ)الفلاسفة المشائين، ب)الفلاسفة الإشراقيون.

أ)الفلاسفة المشائين:

الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وزعيمهم أفلاطون ومعروف أن المعرفة في هذه الفلسفة معرفة عقلية،أو معرفة حسية،وقد تطرقوا أيضا إلى المسائل العرفانية أو الذوقية "كالفلسفة المشرقية" و"الإشارات" "لابن سينا"،وقد جعلوا الذوق أساس للمعرفة عندهم،واشتهروا بمسائل الفيض،وأهمهم"الفارابي"،"وابن سينا".

1-الفارابي*(259هـ،339هـ)

يقول **عبد الحليم محمود:****أن نفس الفارابي كانت تتطلع إلى معرفة الغيب،واختراق الحجب،والكشف عن المساتير،..وها هي السنون تمضي،ويزداد شوقه إلى معرفة الحقائق الخاصة بما وراء الطبيعة.

وفي فترة من فترات التحمس الشديد،عدل فجأة عما هو فيه وقد ناهز الأربعين تقريبا فمال راضيا مغتبطا،إلى حياة التأمل والتفكير الفلسفي الصوفي،فغادر بلدته قاصدا بغداد،وهي إذ ذاك

---

*- ولد الفارابي في مدينة فاراب، ولهذا اشتهر باسمه. نسبة إلى المدينة التي عاش فيها . كان أبوه قائد جيش،ولد(339ه،توفي378ه)ويلقب بالمعلم الثاني،نسبة للعلم الأول"أرسطو" ويلقب بطاووس الفقراء،من أشهر كتبه"المدينة الفاضلة"وفيها معظم آراءه وأفكاره.

**-عبد الحليم محمود:(و:1910،توفي:1978)عالم أزهري ووزير مصري سابق وشيخ الأزهر في الفترة بين عامي:1973و1978

مصدر الثقافة والمعرفة،أما بالنسبة لتصوفه:فيقول أنه كانت له نزعة صوفية،زهدية،سواء أكان ذلك في حياته الشخصية أم في مذهبه الفلسفي.

أما النزعة الفارابية فالفرق بينها وبين موقف ابن سينا من التصوف،فيقول:التصوف لا يظهر في مذهب ابن سينا إلا في آخره كتاج يتوجه،وهو منفصل تماما عن أجزاء مذهبه،وقد عالجه بمهارة فائقة،على أنه فصل من فصول فلسفته،والأمر على نقيض ذلك عند الفارابي:فالتصوف يتخلل جميع مذهبه،وعبارات المتصوفة شائعة،تقريبا في كل أقواله،وكأنما التصوف عنده ليس نظرية من النظريات،وإنما هو حالة ذاتية[1].

فمن خلال كلام عبد الحليم فإن الفارابي كان يعيش حياة الزهد والتصوف الكامل وكان يتخلل جميع حياته معلوم في الفلسفة أنه كان **المعلم الثاني**،ومؤلفاته وشروحه غنية عن التعريف خصوصا في المنطق،والسياسة وأهم وأشهر كتبه:"**المدينة الفاضلة**"،وتطرقه لأنواع المدن وحتى غير الفاضلة منها،وإشارته لأول مرة إلى التجمعات الكبرى على وجه الأرض،وهي التجمعات العظمى،الكاملة ثم تأتي التجمعات الوسطى،ثم الصغرى.

ولأهمية كتابه":**آراء أهل المدينة الفاضلة**" ولأنه جمع فيه تقريبا جميع أفكاره،ولأنه يعد من آخر كتبه فهو يذكر فيه تقسيماته لمجتمع المدينة والذي يهم في هذه التقسيمات هو الرئيس والذي جعل الفارابي من شروطه إثنى عشر خصلة هذا بالإضافة إلى شروط مكتسبة :وهذه لا تتوفر إلا بعد كبره.

-أحدها:أن يكون حكيما:"**والحكيم**" **عند الفارابي:**هو الذي **يوحي** الله-عز وجل- إليه بتوسط العقل الفعال،هذا العقل الفعال الذي يسميه الفارابي"روح القدس"،والروح الأمين،فقد استعمل الفارابي لفظ

1- عبد الحليم محمود،التفكير الفلسفي في الإسلام،دار الكتاب اللبناني،ط1،سنة1974،ص338،بتصرف..

الوحي إلى العقل الفعال وهو نوع من **الكشف** يحصل لهذا العقل بتوسط العقل الفعال.فلا فرق بين النبي والفيلسوف من حيث مصدر المعرفة فكلاهما يتلقى بضاعته من العقل الفعال[1].

كما أن هناك من يقسم التصوف إلى:نوعين:**(تصوف روحي،وتصوف عقلي)**فالتصوف الروحي:يقوم على الزهد والتقشف وقهر النفس ومجاهدتها وتصفيتها بضروب من الحرمان والتعذيب حتى تنتهي إلى أحوال ومواجيد لا يمكن العبارة عنها بالألفاظ وهو غاية جميع الصوفية،ويجعل تصوف الفارابي:رغم زهده وتقشفه في الحياة:تصوف عقلي سبيله التأمل والتفكير[2].

ومراتب العقول الإنسانية:

إذا كانت العقول السماوية متدرجة في النزول من العقل الأول إلى العقل العاشر،فإن العقول الإنسانية البشرية متدرجة صعودا.

حينما يولد الإنسان يكون عنده عقل بالقوة،وحينما يأخذ في التعليم،ينشأ عنده شيأ فشيأ،بواسطة الشعور والإحساس والتجارب،عقل يسمى"**عقل بالفعل**".

فإذا ما أجهد الإنسان نفسه في التفكير،وواصل الليل بالنهار في البحث،وتعمق في مسائل ما وراء الطبيعة،استشرف إلى الملأ الأعلى واتصل به فأصبح لديه "**العقل المستفاد**"،وهو عقل إستفاده من **إشراق** الملأ الأعلى عليه،أو بتعبير آخر إنه"عقل مستفاد" من العقل العاشر السماوي"،بهذا العقل المستفاد،يعرف الإنسان ما وراء الطبيعة،والملأ الأعلى وأسرار الكون،وما يخفى على الآخرين والذين يصلون إلى درجة العقل المستفاد طائفتان من الناس:

1- مرحبا عبدالرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،مرجع سابق،ص451

2- المرجع السابق،ص453،452،بتصرف.

1- **الفلاسفة بالبحث وإعمال العقل.**

2- **الأنبياء بالمخيلة القوية.**

وهو على كل حال أسمى مرحلة يمكن أن يصل إليها بنو البشر.

وقد جعل الفارابي مرتبة الأنبياء للقوة الخيالية خاصة،وقد فضل مرتبة الفلسفة عليها.[1]

2-ابن سينا*: (370هـ،427هـ)ويسمى الشيخ الرئيس.

له عدة كتب تتحدث عن التصوف وأهمها كتابه"الإشارات"،الذي يتحدث فيه عن البهجة والسعادة،وعن مقامات العارفين،والسعيد هو:العارف والعارف:هو الصوفي،وللعارفين أحوال ومقامات،ودرجات..وفي ذلك يقول الفخر الرازي:هذا الباب أجل ما في هذا الكتاب فإن ابن سينا رتب علوم الصوفية ترتيبا ما سبقه من قبله،ولا لحقه من بعده.

ولهؤلاء **العارفين**:آيات وخوارق تصدر عنهم.

إنهم يتركون الأكل مدة مديدة،ويخبرون بالغيب،ويتصرفون في العناصر،فما أسباب ذلك؟ما هي أسرار الآيات التي تصدر عن العارفين؟

غير أن ابن سينا يعرض تصوفه كما فهمه من دراسته للتصوف،وليس كمتذوق له.

1- عبد الحليم محمود،مرجع سبق ذكره،ص364،حتى..367.بتصرف

* - هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا،عالم وطبيب مسلم من بخارى،اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد سنة(370ه427ه) عُرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث في العصور الوسطى وقد ألّف200 كتاب،أشهرها "القانون في الطب".

إن تصوف ابن سينا متميز عن مذاهبه،..فليس مذهب يدعو إلى الزهد والانخلاع عن العالم،بل هو مذهب عقليي ينتهي إلى انتصار الذهن وإشراق العقل،وتزكية النفس،لتكون مستعدة لتلقي فيض العقل الفعال.

وبالتالي فإننا نلاحظ أن ابن سينا أخذ نظرية الفيض عن الفارابي[1]،والذي تتميز نظرية تصوفه بخصائص النظرية الصوفية القائمة على أساس عقلي.

فتصوفه ليس بالتصوف الروحي البحث الذي يقوم على أساس محاربة الجسم،والبعد عن اللذات لتطهر النفس،وترقى مدارج الكمال،بل هو تصوف نظري يعتمد على الدراسة والتأمل.

لهذا يرى أن الصوفية،ومن فهموا طريقتهم،يرون أن المرحلة الحاسمة في سبيل الإشراق،إنما هي الرياضة الروحية التي يعبر عنها أيضا بالرياضة القلبية.أما الأعمال البدنية فليست بوسيلة إشراق.

فلقد تأثر ابن سينا في نظريته الصوفية،بالإشراق وبالاتصال بالملأ الأعلى،وفي هذا يهاجم عبد الحليم محمود من قالوا بأن ابن سينا تأثر فيها بأرسطو رادا عليهم بأن أرسطو:واقعي،يتطلع إلى الأرض،وهذه روحية تستشرق إلى السماء.

وليست تعزى إلى أفلاطون ولا إلى أفلوطين،بل تعزى إلى الإسلام ورسوله،الذي كان بصلة إلى السماء،وكان يتلقى المعرفة عن الملأ الأعلى،والقرآن مفعم بأخبار الأنبياء والرسل الذين اتصلوا بالله،وقصص الأولياء كقصة العبد الصالح الذي آتاه الله من لدنه علما.

أما المقاطع التي تتكلم عن الإشراق في إشارات ابن سينا من قبيل:

1- مرحبا عبدالرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،مرجع سابق،ص509.

والعارف لا يصبح عارفا فجأة،أو دون مجهود أو اكتساب،وإنما لا بد له من السير في طريق صعب المرتقى،إن هذا الطريق يبتدئ بما يسميه العارفون:الإرادة،وهي حالة تعتري المؤمن حين يتطلع إلى إستشراق الملأ الأعلى والاتصال به." وحينما يأخذ في الرياضة يصل فيها إلى حل يحصل معه على شيء من الاستعداد،يلوح له نور الحق كبرق خاطف يلمع ثم يخمد."

إلى أن يقول:هذه البروق الوامضة اللذيذة هي التي تسمى عند العارفين:أوقاتا."

فإذا ما عبر بالرياضة صار سره مرآة مجلوة محاذيا بها شطر الحق،ودرت عليه اللذات العلى،وابتهج بالحق،ثم ينتهي بالغيبة عن نفسه،فيلحظه جناب القدس فقط،..وهذا المقام آخر مقامات السلوك إلى الله،وأول مقامات الوصول التام إلى الله،وهو الفناء عما سوى الله بالكلية،والبقاء به بكليته،وهناك بحق الوصول[1].

وكثيرا ما يذكر ابن سينا في كتبه:الإلهام والحدس:يذكر أن الأثر الروحاني السانح للنفس،في حالتي النوم واليقظة،قد يكون ضعيفا،فلا يحرك الخيال والذكر ولا يبقى له أثر..وقد يكون قويا جدا،وتكون النفس عند تلقيه رابطة الجأش،فترتسم الصورة في الخيال ارتساما جيدا،وقد تكون النفس بها معنية،فترتسم في الذكر ارتساما قويا..فما كان من الأثر الذي فيه الكلام مضبوطا في الذكر في حالة يقظة أو نوم ضبطا مستقرا كان إلهاما أو وحيا صريحا أو حلما لا يحتاج لتأويل أو تعبير،وقد يطلق على الوحي:الجواهر الروحانية التي تؤدي الوحي،والتي تؤديه حتى يصير مبصرا أو مسموعا بعد روحانيته[2].

فيجعل كشف الأتقياء:عبارة عن إلهام شبيه بالوحي وكرامات تشبه المعجزات.

1- عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام،مرجع سبق ذكره،ص412.

2- جميل صليبا،معجم سبق ذكره،ص131..،بتصرف.

ب) الفلاسفة الإشراقيون:وهم الذين تأثروا بالفلسفة الاشراقية،وبالأفلاطونية المحدثة،في مسائل الفيض والإشراق،وأصل المعرفة عندهم عرفاني.

وسندرس نموذجيين في هذا النوع من الفلسفة وهما من أهم أعلامها لنعرف رأيهم في المكاشفـــة وهما " **السهروردي ،وابن عربي.**

أ)السهروردي*:

وهو المقتول والذي يلقب بشهاب الذين وهو المشهور:"بالحكيم،يشتهر بالشعر وبالأدعية في التصوف الإشراقي ويتميز أسلوبه " بأنه رمزي شديد الخفاء كما أنه عارف لمذاهب الفلسفة الإسلامية:كالفارابي ،وابن سينا كما أنه يذكر في كتاباته "هرمس"،ويعتبره من رؤساء الإشراقين وأنه والد الحكماء ".

فالحكمة المشرقية نسبة إلى المشارقة " أهل فارس " حكمتهم ذوقية:تعتمد على الإشراق:وهو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها في النفس عند تجريدها عن المواد الجسمية،وهو ما يقصد به "الكشف ،والذوق[1]،**فالكشف:هو الإشراق**،ولا فرق بين حكمة الإشراق والحكمة المشرقية التي تكلم عليها ابن سينا

فالحكمة عند السهروردي :مؤسسة على الذوق والإشراق والكشف والحدس والفرق بينها وبين الفلسفة الأرسطية:فهذه الفلسفة مبنية على الاستدلال والعقل واكتساب النفس للمعرفة،وفي فلسفة ابن سينا كما سبق لا يتم لا بالإحساس ولا بالخيال ولا بالوهم بل يتم بالعقل.

*- ولد بسهرودر حوالي 550ه،وقتل بأمر صلاح الدين الأيوبي في حلب سنة 587ه.وقد عرف بالمقتول لتمييز بينه وبين غيره ممن يحملون نفس الاسم،كالسهروردي البغدادي صاحب "عوارف المعارف"تتلمذ على يد مجد الدين الجيلي أستاذ فخر الدين الرازي وله مصنفات منها:" حكمة الإشراق " "التلويحات "،" المقاومات "،هياكل النور. الخ

1- التفتازاني أبو الوفا، مدخل إلى التصوف الإسلامي،دار الثقافة للنشر،القاهرة،ط3،ص194..، بتصرف.

ويعد **السهرروردي:** من أوائل من تكلم من الصوفية في الفلسفة الاشراقية وخلاصتها:أن من تجرد عن الملذات الجسمية،يتجلى له نور إلهي لا ينقطع مدده،وهو صادر ممن كان منا بمنزلة الأب،والسيد الأعظم للنوع الإنساني،وهو الذي يسمى بلغة الفلاسفة:العقل الفعال.

ويتضح بهذا أن المعرفة عند الاشراقيين،لا تكتسب عن طريق البرهنة،أو البحث المجرد،بل من طريق سوانح نورانية من طريق الأب المقدس[1]،والنفس لا تصل إلى عالم القدس ولا تتلقى أنوار الإشراق إلا بالرياضة والمجاهدة.

ونفس هذه الشروط نجدها عند الإمام الغزالي–رحمه الله–:فيجعل شروطها الرياضة والمجاهدة حتى ينكشف للإنسان ويصل إلى أعلى مراتب العرفان.

ويرى **السهروردي:**أن ما يمنع النفس من الترقي إلى عالم الملكوت هو القوى البدنية ولا يكون إلا إذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية:وغلبها يكون بتقليل الطعام وتكثير السهر:حتى تتخلص وتصل إلى عالم القدس وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف.[2]

فكلام **السهروردي** حول الوصول إلى المقام القدسي لا يختلف كثيرا عن متصوفة الإسلام كما سبق وشروطه لا تختلف عنهم إلا في الأسماء،والترقي في المقامات التي جعلوها كأدراج للوصول بنوع تصرف وتحقيق وتكلف إلى أعلى المقامات في حين أن السهروردي يضع شروط وهي الرياضة والمجاهدة للذوق والكشف ومنها تقليل الطعام والسهر وتخليه النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل .

وكل هذه الشروط نجدها مشتركة مع أعلام التصوف الإسلامي للوصول إلى المعرفة الحق وهي معرفة الله،فالنفوس الفاضلة عند السهروردي تتحقق بمشاهدة الأنوار:أنوار الحق والانغماس في بحر

1- زياد بن عبد الله الحمام،العلاقة بين الصوفية والإمامية،ط1،سنة1432ه،ص143.
2- المرجع نفسه،ص169.

النور،وأنه لا شيء أظهر من النور ولا شيء أغنى منه عن التعريف،فالشيء في نظره ينقسم:إلى نور وضوء في حقيقة نفسه،وهو الظلمة فإن الظلمة هي عدم النور،أما النور في نفسه ولنفسه فيسمى بالنور المجرد والنور المحض،وهذا النور المجرد إما أن يكون محتاجا وفقيرا كالعقول والنفوس،وإما أن يكون غنيا مطلقا لا افتقار فيه بوجه من الوجوه،وهو الحق سبحانه ويسمى نور الأنوار،والنور المحيط،والنور القيوم،والنور الأعظم الأعلى ونور النهار،ونور **الأسفهيد**: الذي هو في اللغة الفهلوية زعيم الجيش[1].

فالسهروردي على ما يبدوا متأثر بالآية القرآنية:(***اللهُ نُورُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ***)،فهو يقسم الأشياء إلى نور وما ليست بنور،وأن كل جسم فهو مفتقر في وجوده إلى هذا النور.

سعادة النفس لا تنقضي إلا بهذا النور،والمثل الأعلى للحكيم أن يتوغل في التأله والبحث،وإذا كانت السياسة في يد هذا الحكيم المتأله كان الزمان نورانيا وإذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبة[3]،ولهذا يجعل الواصل لمرتبة الذوق المتأله أفضل من الأنبياء،وهذا ماشنع عليه وجر عليه القتل لان **السهروردي** عندما يقسم مراتب الحكماء إلى حكيم متأله:وهو عديم البحث كأكثر الأنبياء والأولياء،يقع في مشكلة أنه يجعل الحكيم المتأله المتوكل: في التأله أفضل من عديم البحث كالأنبياء والأولياء،ولم يصل إلى هذه المرتبة إلى القطب في وقته وهو الخليفة ولا يخلوا منه العالم،

ومما سبق فان الحكمة في الفلسفة: المشائية برهانية،وفي الفلسفة الإشراقية:ذوقية وليست برهانية.

1- جميل صليبا،المعجم سبق ذكره،ص94.

2- سورة النور،الآية35.

3- جميل صليبا،المعجم نفسه،ص،95.

ب) ابن عربي*:

مذهبه قائم:على **الذوق والعرفان**** و**الفيض**،وأن الله أوجد الأشياء من وجود علمي إلى وجود عيني والدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي:((**كنت كنزا مخفيا لم أعرف فخلقت الخلق فبه عرفوني**)).فالحق تعالى شاء أن يظهر الخلق عامة والإنسان خاصة ليعرف وليرى نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسماؤه أو بعبارات أخرى شاء الحق أن يرى تعيينات أسماءه: في مرآة العالم أو الوجود الخارجي ما ظهر وعلى النحو الذي عليه،وكشف بذلك عن الكنز المخفي الذي هو الذات المطلقة المجردة عن العلاقات والنسب،ولكنه لم يكشف عنها في إطلاقها وتجردها في تقييدها وتعيينها [1].

ولهذا نجد **ابن عربي** يقول:إن الحقيقة الوجودية واحدة والتفرقة بينهما وبين الذات والممكنات تفرقة اعتبارية،وقد اتهم بالقول بوحدة الوجود:لأنه يرى أن الممكنات هي عين وجود الله وليست تعددها وكثرتها إلا في نظر العقل القاصر فهي متكثرة في أسمائها وصفاتها ولكنها واحدة فهذا عين التنزيه عند ابن عربي وقد اتهمه خصومه:بالقول بوحدة الوجود[2]،والقول كذلك بقدم النور المحمدي وقد ألف في ذلك كتابا وهو:" الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل" أشار فيه إلى اكتمال النور المحمدي وأنه الإنسان الكامل وقد تجلت له جميع الحقائق والأنوار والأذواق أي المكاشفة الحقيقية وهي الفناء بالله وقد تأثر بابن عربي:عبد الكريم الجيلي وله كتاب يحمل نفس الاسم، وهو الإنسان الكامل كما

---

*- وهو أبو بكر محمد على بن احمد بن عبد الله الطائي الحاتمي ولد في جنوب شرق الأندلس سنة 560ه،في بيت علم وجاه وثروة وقد درس الفقه والقرآن والحديث على بعض تلاميذ ابن حزم الظاهري،وقد التقى "بابن رشد" كما أنه كان كثير الترحال وقد أخد عن مشايخ المغرب العربي كأبوا مدين الغوث التلمساني،ثم انتقل إلى مصر واستقر في أخر الأمر بدمشق وتوطن بها سنة 638 ه،وأشهر كتبه "الفتوحات المكية،و"فصوص الحكم ".

** - أول درجات شهود الحق في أثناء البوارق المتوالية،والعارف:من شاهد ذات الله وأسمائه وصفاته.

1- التفتازاني أبو الوفا، مدخل إلى الصوف الإسلامي،دار الثقافة للنشر القاهرة،ط3،ص،204.

2- المرجع نفسه :ص،204،بتصرف.

تأثر به فخر الدين العراقي،والأمير عبد القادر الجزائري في كتابه: المواقف،ومن المتأخرين:عبد الغني النابلسي [1]،أما في خصوص الكشف فإن **ابن عربي** يقسمه إلى خمس درجات:

1- **كشف عقلي**:وبه تدرك المعقولات.

2- **كشف قلبي**:وتدرك به أنوار مختلفة.

3-**كشف سري**:تدرك به أسرار المخلوقات،وحكمة خلقها.

4-**كشف روحي**:به يرتفع حجاب الزمان والمكان،ويدرك به العوالم غير المتناهية،ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل.

5-**كشف خفي**:وهي أن ينكشف الله تعالى بالصفات:إما بالجلال أو الجمال على حساب المقامات والحالات،ويسمى كشفا صفاتيا،فإن انكشف بصفة العالمية تظهر العلوم اللدنية،وإن انكشف بالصفة السمعية يظهر استماع الكلام والخطاب،وإن انكشف بالصفة البصرية تظهر الرؤية والمشاهدة،وإن انكشف بصفة الجلال يظهر فناء الفناء،وإن انكشف بصفة الجمال يظهر شوق شهود الجمال،وإن انكشف بصفة القيومية يظهر بقاء البقاء،وإن انكشف بصفة الواحدية تظهر الوحدة[2]،ولهذا فإن صفة الواحدية لا تنال إلا بالكشف ولذلك يضرب **ابن عربي** مثلا بتجلي صورة الإنسان في المرآة فيقول:وإذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق،فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى نفسك أعلى من هذا الدرج.قال شارحه:إشارة إلى أن هذا المعنى لا يدرك إلا بالذوق والكشف،والحال لا بمجرد العلم،وهي الغاية في الكشف،ليس فوقها أعلى منها[3].

1- أبو الوفا التفتازاني،المرجع السابق ط3، ص 204 .
2- محمد أحمد لوح،جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية،ص491،490..
3- محمد أحمد لوح ،المرجع السابق ذكره،ص492.

الفصل الثاني

مفهوم المكاشفة عند الغزالي

المبحث الأول : سيرته و رحلته نحو التصوف

المبحث الثاني : أقسام التوحيد و أدوات المعرفة عند الغزالي

المبحث الثالث : مفهوم المكاشفة من خلال الإحياء ، الأدلة و الأنواع

الفصل الثاني :مفهوم المكاشفة عند الإمام الغزالي:

تمهيد:

يعتبر الإمام **أبو حامد الغزالي**–رحمه الله– من أكبر المدافعين عن التصوف الإسلامي الصحيح المبني على أساس إتباع القران والسنة وما كان عليه مجموع الصحابة من أثر التمسك بها وحياة الزهد والابتعاد عن الدنيا وملذاتها وتربية النفس وإصلاحها.

غير أن الإمام **الغزالي**–رحمه الله–:كان ذا شخصية،ثقافة وتصوف كبيرين في دين الإسلام وهو يعد من أعظم صوفية الإسلام بسبب المنهاج الذي اتبعه وتميز به عن غيره.

ومن أهم ما تميز به أنه يقسم الدين إلى قسمين:

أ)**في المعاملات** ب) **في الكشف**.

ولهذا يعد أثره كبير في الإسلام،وحتى يومنا هذا،وحتى نعرف فلسفة الغزالي في التصوف ومناهجه في الكشف يجب أن نعرف سيرة حياته حتى نفهم كيفية وصوله إلى هذه المعرفة ومفهومه لها .

المبحث الأول:(سيرة الغزالي و رحلته نحو التصوف):

ا)ترجمة وسيرة الغزالي– رحمه الله– :

هو الإمام **الغزالي** محمد بن محمد بن أحمد الملقب بأبي حامد والمعروف لعلو مكانته:" بحجة الإسلام "،كان والده –فيما يذكر بعض المترجمين له:يشتغل بغزل الصوف ولهذا عرف:بالغزالي:بتشديد الزاي وعرف بغير تشديدها نسبة إلى بلده تسمى غزالة.

ولد بطوس من أعمال خراسان عام 450هـ،وقد تربى تربية صوفية في بيت صديق والده:وكان متصوفا هو أخوه بعد وفاة والده.

وقد تتلمذ **الغزالي** في صباه على أحد فقهاء طوس وهو أحمد الراذكالي ثم سافر إلى جرجان ليأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي،وعاد بعد ذلك إلى طوس،ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس أحد الأئمة المشهورين وهو:أبو المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين،وقد جد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين:(علم الكلام،أصول الفقه).والمنطق،وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك،وفهم كلام أرباب العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعواهم،وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها،وكل ذلك "في مدة قريبة"،حتى صار من الأعيان المشـــار إليهم في زمن أستاذه:الجوينى" [1]،وظل الغزالي ملازما أستاذه الجوينى إلى أن توفي هذا الأخير سنة:478هـ،فخرج من نيسابور إلى العسكر،ولقي الوزير المشهور نظام الملك،فأكرم وفادته وعظمة وبالغ في الإقبال عليه،وقد أدرك نظام الملك مكانة الغزالي،وتروى في ذلك رواية مؤداها أنه قد جرت بينه وبين بعض العلماء بحضرته مناظرة في عدة مجالس فظهر الغزالي عليهم جميعا،عندئذ اشتهر اسمه وعهد إليه نظام الملك بالتدريس في مدرسة بغداد ،وهي المعروفة: بالنظامية،فقدم إليها وألقى دروسه فأعجب بها أهل العراق.

1- ابن خلكان أبو العباس،وفيات الأعيان،تحقيق إحسان عباس،دار صادر بيروت،ج4 ص217.

وكان **الغزالي** إبان هذه المراحل من حياته قد حصل كثيرا من العلوم وتعمق فيها،ومن بين هذه العلوم الفلسفة،ولعله أقبل على دراستها لكي يزيل ما بدأ يساوره من شكوك إبان تدريسه،ولكنه لم يتوصل من تلك العلوم على اختلافهـــا إلى ما فيه راحة نفسية واستبد به القلق النفسي إلى حد أدى به إلى أزمـــة عنيفة،وصفها لنا وصفا شيقا في كتابه:" المنقذ من الضلال ":الذي يروي لنا فيه سيرته نحو الحقيقة والتصوف ويخبرنا بسبب أزمته أنه كان من نتائج هذه الأزمة أن انصراف عن تدريس ما كان يدرسه من العلوم،وأقبل على العزلة عن الناس،مع أنه كان قد أصاب في التدريس شهرة واسعة وحقق لنفسه من الجاه والنفوذ ما يصبو إليه كل إنسان.

ولم يحمل **الغزالي** على هذا إلا صدقه مع نفسه،إذا كان يعلم منها أنه لم يدفعه إلى طلب العلوم الدينية وتدريسها إلا طلب الجاه وانتشار الصيت،فاستحقر حاله هذا،وطلب الخلاص عن الرياء.

وحتى نعرف كيفية وصول **الغزالي**–رحمه الله–إلى طريق التصوف الذي ارتضاه وإلى المكاشفة التي كانت النور الذي قذف الله به قلبه وأنقذه من الحيرة والشك الذي وقع فيهما،وكل ذلك قد صوره الإمام في كتابه الفذ"المنقذ من الضلال".

ب–فيقول الغزالي عن أزمته في" المنقذ من الضلال" :

"ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منغمس في العلائق(التعلقات الدنيوية)وقد أحدقت (أحاطت) بي من الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس فإذا أنا مقبل على علوم غير مهمة و لا نافعة، ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى،بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت ،فتيقنت أنني على شفا جرف هاري*،وأنى قد أشفيت على النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال.

*- الجرف ماتجرفه السيول ، واكلته من الأرض ، ومنه المثل : فلان يبني على جرف هاري ، لايدري ماليل من نهار.

" فلم أزال أتفكر فيه مدة ،وأنا بعد على مقام الاختيار،أصمم العزم على الخروج من بغداد،ومفارقة تلك الأحوال يوما، واحل العزم يوما،وأقدم فيه رجلا،وأؤخر عنه أخرى لاتصفوا لي رغبة في طلب الآخرة بكرة إلا ويحمل جند الشـــهوة حملة فيفترها عشية،فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بســـلاسلها إلى المـــــقام، ومنادى الإيمان ينادى الرحيل!، الرحيل! فلم يبق من العمر إلا القليل،وبين يديك الســـفر الطويل،وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وخيالات!،فان لم تستعد الآن فمتى تستعد؟وان لم تقطع الآن:(هذه العلائق)فمتى تقطع؟فعند ذلك تنبعث الداعية و يعزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان فيقول: هذه حالة عارضة وإياك أن تطاوعها ، فإنها سريعة الزوال .فان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما التفتت إليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة.

" فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار،إذا أقفل الله على لسانه حتى اعتقل عن التدريس،فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحد تطييبا لقلوب المختلفة إلي،فكان لا ينطق لساني بكلمة(واحدة)،و لا أستطيعها البتة،حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب،بطلت معه قوة الهضم و مراءة الطعام و الشراب،فكان لا ينساغ لي ثريد،ولا تنهضم لي لقمة.و تعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج و قالوا :" هذا أمر نزل بالقلب و منه سرى إلى المزاج،فلا سبيل إليه بالعلاج،إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم".

"ثم لما أحسست عجزي،و سقط بالكلية اختياري،التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له. فأجابني الذي(يجيب المضطر إذا دعاه)[1].

1- أبو حامد الغزالي،المنقذ من الضلال،نشر موقع الفلسفة الإسلامية، ص 30.29.

وهكذا بدأ الطريق نحو **التصوف:**و كانت هده المرحلة من حياته الروحية بمثابة الاستعداد النفسي لسلوك طريق التصوف،وهي مرحلة تتركب من عدة حالات وجدانية كالشك والقلق و الكآبة و الحزن العميق والخوف من المجهول،ومحاولة إدراك حقيقة الكون،و كشف المحجوب،وإحساسات أخرى غامضة تنتهي كلها بالاتجاه إلى الله [1].

كان **الاتجاه إلى الله:**إذن هو الدواء الشافي لأزمة الغزالي الذي أراه أو قذف في قلبه نورا فأخرجه وأنقذه بذلك النور إلى المعرفة الحقيقية،وهو يصور لنا شفاءه قائلا: فأعضل هذا الداء و دام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة:بحكم الحال،لا بحكم النطق و المقال، حتى شفى الله تعالى ذلك المرض،و عادت النفس إلى الصحة والاعتدال،ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين،ولم يكن كل ذلك بنظم دليل و ترتيب كلام،بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر،و ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف،فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة[2].

أصبح **الغزالي** يستضئ في سلوكه بنور الإيمان،و لكنه ظل يبحث عن الحقيقة في المذاهب المختلفة التي كانت موجودة في عصره، وذلك في استقلالية فكرية أراد أن يرتفع بها،على حد تعبيره هو من حضيض التقليد إلى يفاع * الاستبصار،واتخذ لنفسه قاعدة منهجية عبر عنها بقوله:"إن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه معلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، و لا يقرنه إمكان الغلط والوهم" [3]، وهذه القاعدة في الشك في كل شيء حتى يصل للمعرفة اليقينية وأن لا يبني الحقائق والمعارف على كل ما يراه أو يحس به وأنه هناك حقائق لا نصل إليها إلا عن طريق الكشف اليقيني.

1- التفتازاني أبو الوفا، مدخل إلى التصوف الإسلامي،مرجع سبق ذكره،ص156،155.
2- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال،مصدر سابق،ص 07.
*- اليفاع التل المشرف ، أو ما رتفع من الأرض.
3- أبو حامد الغزالي،المنقد من الضلال،المصدر نفسه،ص5 .

فلقد اختبر **الغزالي** الثقة في المحسوسات فلم تسمح نفسه بالتسليم باليقين فيها،وامتحن الثقة بالعقليات فانهارت العقليات[1]،فأيهما يصدق:حاكم الحس،أو حاكم العقل،وكلاهما يناقض الآخر،فالغزالي:يتخيل حوارا جرى بينه وبين المحسوسات فيدرك كذبها كما تجلى كذب العقل في حكمه[2].

ج- وقد حصر الغزالي بعد ذلك طالبي الحق في عصره في أربعة أصناف:

1)المتكلمين و2) الباطنية: (أو التعليمة)3) و الفلاسفة 4)و الصوفية،وقد نقد المتكلمين و الباطنية من غلاة الشيعة،والفلاسفة في "المنقذ من الضلال "،وقد نقدهم أيضا في "إحياء علوم الدين "،وانتهى إلى أن الصوفية هم أرباب الحق مبينا أن حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى،وتحليته بذكر الله [3]. وابتدأ الغزالي بتحصيل علوم الصوفية من مطالعة كتبهم،وكلام مشايخهم حتى يقف على كنه مقاصدهم العلمية ،فحصل ما أمكنه تحصيله من طريقهم بالتعلم والسماع،ولكنه ظهر له أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بتعليم،بل بالذوق و الحال وتبدل الصفات،فعلم يقينا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال.

وتبين له أن لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى و كف النفس عن الهوى،ورأس ذلك كله قطع علائق القلب عن الدنيا:بالتجافي عن دار الغرور،والإنابة إلى دار الخلود،والإقبال بكنه الهمة على الله[4].

ولقد تأثر في ذلك بكتاب قوت القلوب:(للمكي رحمه الله).و(الحارث المحاسبي) والمتفرقات عن (الجنيد) (والشبلي)و(أبى يزيد البسطامي) وغيرهم.

لقد سلك الغزالي بعد ذلك كله على حياة من نوع جديد،وهي حياة الزهد و العبادة والكمال الروحي

1- عبد الحليم محمود،التفكير الفلسفي في الإسلام، مرجع سبق ذكره،ص466.
2- مرحبا عبد الرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،مرجع سبق ذكره،ص624وما بعدها،بتصرف
3- أبو حامد الغزالي،المنقذ من الضلال،مصدر سبق ذكره، ص28
4- المصدر نفسه ص28.

والتقرب إلى الله ولحياته السابقة خصوصا في صغره والتي كان لها التأثير على حياته فيما بعد فكما هو معلوم أنه قد تربى في صغره على يد أحد المتصوفين والذي كان صديقا لأبيه والذي أوصاه بقوله:إن لي تأسفا عظيما على ما فاتني من التعلم وأشتهي استدراك ما فآتني في ولدي هذين فعلمهما ولا عليك أن ينفذ في سبيل ذلك جميع ما أخلفه.

فأحسن الرجل في ذلك إلى هذين اليتيمين ولهذا يقول الغزالي:"طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله". و في سنة 488هـ،خرج من بغداد و قصد إلى الحج وقد ناب عنه أخوه أحمد في التدريس[1]، و لما انتهى من الحج ذهب إلى الشام سنة 479هـ،وأقام بدمشق يدرس بزاوية الجامع في الجانب الغربي منه، و انتقل منه إلى بيت المقدس.. واجتهد في العبادة،ثم قدم مصر وأقام بالإسكندرية مدة.. ثم عاد إلى طوس و اشـــتغل بالتأليف.

يذكر **ابن خلكان:** أنه "ألزم بالعـــودة إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرســـة النظـــامية،فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات،ثم ترك ذلك و عاد إلى بيته في وطنه،وأخذ خانقاه:(بيتا) للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره،ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب،والقعود للتدريس إلى أن انتقل إلى ربه..،وكان ذلك في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة 505هـ .بظاهر الطابران.وهي قصبة طوس رحمه الله تعالى[2].

ولقد كان الإمام **الغزالي** مفكرا كثير الإنتاج واسع الثقافة،وهو قد ألف عددا ضخما ومن الكتب والرسائل قدرها بعض شرح الأحياء بما يقرب من ثمانين،وهي في مجالات عدة كالفقه وأصوله وعلم الكلام والأخلاق والجدل والفلسفة والتصوف **وأبرزها:**

1- إبن خلكان،وفيات الأعيان،معجم سبق ذكره،ج4،ص217،وكذلك أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين،ص4
2- المعجم نفسه،ج،2ص،219.

ففي مجال الفلسفة نجد قد ألف كتابه المشهور: 1-"مقاصد الفلاسفة": ليعرض فيه علومهم الطبيعية و الإلهية عرضا موضوعيا و ذلك طبقا لمذهب ابن سينا في الجملة،و كتابه: 2 -"تهافت الفلاسفة " :الذي يفند فيه مذاهبهم مبينا ما فيها من التناقض والقصور،والظاهر أنه ألفه قبل مغادرة بغداد سنة 488هـ،وهو قد كفرهم كما هو معلوم في مسائل ثلاث،وهي قولهم بقدم العالم،وإنكار علم الله بالجزيئات،وإنكار الحشر الجسماني.

وفي مجال علم الكلام نجد له كتبا تشهد له بالتعمق في مباحثه مثل:3- "الاقتصاد في الاعتقاد"، و:4-" إلجام العوام عن علم الكلام " وهو كمتكلم يعتبر من أئمة الأشعرية من أهل السنة.

وللغزالي أيضا كتاب مشهور في علم المنطق هو:5- " معيار العلم ".

وفي مجال الفقه:6- "الوسيط" و7-"البسيط" و8-"الوجيز" و9-"الخلاصة"، أما في مجال أصول الفقه فله كتاب مشهور وهو: 10-" المستصفى " الذي يعد من أروع ما ألف في أصول الدين حتى قال عنه شيخه الجويني:(لقد دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت..).

أما كتبه ووسائله في التصوف كثيرة أهمها: 11-" إحياء علوم الدين " وقد أبان فيه بالتفصيل عن مذهبه في التصوف رابطا إياه بالفقه والأخلاق الدينية،و12-" المنقذ من الظلال " الذي صور فيه حياته الروحية أجمل تصوير،و(13-منهاج العابدين)، و14- (كيمياء السعادة)و15-(الرسالة اللدنية) و16-(مشكاة الأنوار) و17-(المضنون به على غير أهله) و18-(القصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) وغير ذلك [1].

1- أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،لابن الحسين العراقي،تحقيق سيد عمران،دار الحديث القاهرة،ص5.

د)أثر تكوين الغزالي على تصوفه:

لقد كان الغزالي ذا ثقافة واسعة وعميقة،فقد أحاط بثقافات عصره على اختلافها واستطاع أن يتمثلها تمثلا غريبا ويتبين ذلك بوضوح من مطالعة مصنفاته.

والغـــــزالي كفقيه ينتمي إلى الشافعية،وكمتكلم إلى الأشعرية،وهو إلى جانب تمكنــه من العلوم الشرعــية، متمكن أيضا من الفلسفة والمنطق حتى أن بعض النقاد يعتبرون علمه بالفلسفة لا يقل عن علم الفلاسفة أنفسهم بها،وليس من شك في أن عرضه لمذاهب الفلاســفة في المقاصد، ونقده لهم في " التهافت " يدلان على علم واسع بالفلسفة اليونانية، وإحاطة بحقائق مذاهبها[1] .

على أنه يجب أن يوضع في الاعتبار دائما أن **الغزالي** ليس فيلسوفا مع علمه الواسع بالفلسفة،فهو قد رفض الفلسفة طريقا إلى اليقين [2]،وآثر وفضل عليها التصوف ومنهجه الذوقي.

والغزالي مع نقذه للمتكلمين،حتى بعد تصوفه يعد متكلما اشعري العقيدة،ينظر إلى علم الكلام على أنه فرض كفاية [3]،وهو يقيم تصوفه على أساس دائم من الفقه وعلم الكلام ونقده للمتكلمين يتعلق أساسا بمنهجهم،وليس بالعقائد الإسلامية التي يشغلون بإثباتها والدفاع عنها،والتي هي أساس كل تصوف،وقد آثر **الغزالي** التصوف السني الذي يقوم على أساس عقيدة أهل السنة والجماعة،وأبعد عن ميدانه كل أثر للنزعات الغريبة عن الإسلام،على اختلافها والتي تأثر بها فلاسفة الإسلام،والإسماعيلية من الشيعة، وإخوان الصفا وغيرهم،وأبعد عن ميدانه كذلك إلهيات أرسطو،وما علق بها من نظرية **الفيض***،والاتصال، وقد تضمنت هذه الردود: في كتابه الرائع(تهافت الفلاسفة) والذي مازال يعد من الكتب الخالدة حتى يومنا هذا.

1- أبو الوفا التفتازاني، مدخل الى التصوف الإسلامي،دار الثقافة للنشر القاهرة،ط3،ص157
2- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال،مصدر سابق،ص 11 وحتى ص 22 عند كلامه عن الفلسفة.
3- أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج1،ص36،35.
*- ومعناها أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد أو جوهر واحد.

والغزالي يعلن إعجابه ببعض صوفية القرنين الثالث والربع من ذوى الاتجاه السني، فهو يأخذ عن الحارث المحاسبي،ويعجب به إعجابا كبيرا.وهو لا يخفي إعجابه كما أخبر بذلك وسبق في المنقذ من الضلال عند كلامه عن التصوف.

وفيما يخص معرفة الغزالي بالنفس البشرية فيصنفه:العيسوي عبد الرحمان:* ضمن علماء المسلمين المهتمين بالنفس لأنه كان كثير التأمل في ذاته مستبطنا إياها وكان يرى أن إصلاح أخلاق الناس وسلوكهم يكمن في إصلاح النفس،ويتطلب ذلك معرفة أحوالها وخصائصها بهدف ضبط سلوك النفس والتحكم فيه وتوجيهه نحو الأفضل،وأنكر ما شاهده في المجتمع البغدادي من فساد وانحلال ورياء ونفاق وتكالب على اللذات والشهوات والشر،وتساءل ما هو سبب فساد الناس وكيف السبيل إلى إصلاحهم؟[1].

وهذا ما يفسر غلبة الطابع النفسي الخلقي التربوي على تصوف الغزالي،فهو في تصوفه كالمحاسبي وغيره من صوفية القرنين الثالث والرابع،عالم بالنفس الإنسانية وآفاتها، وكيفية الترقي بها أخلاقيا،وتصوفه في الجملة تربوي.

ويذكر **الغزالي** نفسه أنه حين اتجه إلى التصوف قرأ أول ما قرأ: كتب صوفية القرنين الثالث والرابع كما وقف على أعمالهم،وظهر له أن التصوف تجربة أساسا،فليس يكفى الإنسان أن يقرأ كتب الصوفية ليصير صوفيا،وهو يذكر من هؤلاء الذين قرأ كتبهم،أو وقف على أقوالهم أبى **طالب المكي** صاحب "قوت القلوب" و الحارث المحاسبي، و الجنيد، وغيرهم .[2]

*- أستاذ علم النفس ومشارك في موسوعة ميادين علم النفس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية،مصر.
1- العيسوي عبد الرحمان،علم النفس عند علماء الإسلام،مرجع سبق ذكره،ص141.
2- الغزالي أبو حامد،المنقذ من الضلال،المصدر سبق ذكره، ص،28.

وهو يرى أن حاصل طريق هؤلاء في التصوف قطع عقبات النفس،والتنزه عن أخلاق المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى،و تحليته بذكر الله،و هو يرى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة،وأن سيرتهم أحسن السير،وطرقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكي الأخلاق،وذلك لأن حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة،وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به [1].

ولا كذلك الشأن بالنسبة لتصوف أصحاب الشطح عنده،وما تخيلوه من **إتحاد*** أو حلول** فهو يرى نطقهم بالشطحات خطأ لا يليق بالعارفين الكمل.ويشير في "المنقذ من الضلال " إلى ذلك قائلا :"ثم يترقى الحال (بالصوفي) من مشاهدة صور الأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق،ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه،وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الإتحاد،وطائفة الوصول.وطائفة الحلول،و كل ذلك خطأ،ويقول بأنه قد بين وجه الخطأ فيه في كتابة "(المقصد الأسنى)"، بل الذي لا بسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

و كان ما كان مما لست أذكره *** فظن خيرا و لا تسأل عن الخبر[2].

يرى **الغزالي** في "**الإحياء**": أن ضرر الشطح بالنسبة لعوام الناس عظيم،وهو يظهرنا على نوعين من الشطح،أحدهما:الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله،والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الإتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب،فيقولون:قيل لنا كذا،ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله:أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال:"سبحاني سبحاني "،ويرى الغزالي

1- الغزالي أبو حامد،المنقذ من الضلال،المصدر سبق ذكره ،ص.31.

*- أي إتحاد الخالق-سبحانه وتعالى-بالمخلوقات.

**- أي حلول الخالق-عز وجل-في المخلوقات.

2- المصدر نفسه،ص31.

أن هذا فن من الكلام عظـــيم ضـــرره في العوام،حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم و أظهروا مثل هذه الدعاوي،فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال[1]،فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم" على أن الغزالي يلتمس العذر للبسطامي، ويؤول شطحياته كقوله:(إني أنا الله لا الله إلا أنا فاعبدني)، على أنها على سبيل الحكاية–عن الله عز وجل–،والصنف الثاني:من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة،وفيها عبارات هائلة،وليس وراءها طائل،وإما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر،وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره،لقلة ممارسته للعلم،وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة[2]،ولا فائدة من هذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب،ويدهش العقول،ويحير الأذهان.

فالغزالي:–رحمه الله–:حتى مع التماسه العذر للبسطامي أو الحلاج أحيانا صريح في الإنكار على تصوف أصحاب الشطح،إذ ربما يسبق لسان الصوفي من أصحاب الشطح في هذه الدهشة فيقول :"أنا الحق"،فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك،ويرى الغزالي أن هذه الأقوال يجب أن لا تخرج إلى العامة فيتوهمون فيهم الإدعاء بقولهم الإتحاد أو الحلول فيقول:وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول،وطائفة الوصول،وكل ذلك خطأ.وقد بين وجه الخطأ في كتابه ((المقصد الأسنى)) .[3]

كما أنه يفضل التعبير عما يتوهم أنه إتحاد أو حلول بلفظ القرب المشار إليه في الحديث القدسي:" **ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي**

1- الغزالي أبو حامد ،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،المصدر سبق ذكره،ج1،ص54.
2- المصدر نفسه،ج1،ص55.
3- الغزالي أبو حامد ،المنقذ من الضلال،المصدر سبق ذكره،ص31.

يبصر به ،ولسانه الذي ينطق به...[1]) ،وهذا كما يقول **الغزالي:**"موضع يجب قبض عنان القلم فيه، فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر،وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الإتحاد،وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم:أنا الحق،(وهو قول الحلاج) وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا:هو الإله.وقال آخرون منهم:تذرع الناسوت بالاهوت.وقال آخرون:اتحد به.وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل، واستحالة الإتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون .[2]

وقال:إن هذا على فرض صدوره منهم لا يوجب أن يتصف العبد بصفات الرب،فإن صفة الحال لا تصير صفة للمحل،بل تبقى صفة للحال كما هي،والمفهوم العقلي لكلمة الحلول ينفي ذلك فإذا كان معنى الحلول يعني حلول الجسم في مكان،فإن الله منزه عن الجسمية فيستحيل في حقه أن يكون كذلك..وعلى هذا فإن كل ما صدر من متصوفة الحلول والاتحاد يفسره الغزالي بعيدا عن مظنة الحلول الحقيقي،أو الإتحاد.[3]

والغزالي:دائما ما يلتمس العذر لأصحاب هذه المقولات ويرى أنه لا يجب الكلام به أمام العوام،وهنا قد أخطأو:حينما تكلموا به أمام الناس،وأنه لا يجب الخوض في هذه الأمور.

1- رواه البخاري،رقم6502
2- أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج4،ص382
3- محمد السيد الجليند،قضية الألوهية بين الدين والفلسفة،كلية دار العلوم،القاهرة،ص294.

المبحث الثاني :

أ)أقسام كتاب "الإحياء"،أنواع التوحيد وأدوات المعرفة كما يراها الغزالي:

تمهيد:

جاء في محاضرات التصوف: **لمحمد حفيان**[1]:

عن الأسباب التي جعلت الإمام **القشيري** يؤلف رسالته خصوصا لما كثرت الطوائف وأصبحت كل طائفة تدعي تمسكها بالهدي النبوي:اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا في ذلك أشرف تسمية ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله–تعالى–الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[2].

ولهذا بعد أن درس الغزالي طرق المتكلمين والفلاسفة والباطنية،انتهى إلى طريق الحق كما يصوره،لنا في كتابة " المنقذ من الضلال" وهو طريق:"التصوف" الذي تكلم عنه الإمام **القشيري** في رسالته،وأن أصحاب التصوف كما يقول الغزالي:هم أصحاب الحق وأن طريقتهم طريقة:" العلم والعمل" وهو مبني على أخلاق القرآن وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–وبعد أن درس التصوف رأى الغزالي أنه لا يمكن معرفة التصوف والوصول إليه إلا بتذوقه وتجربته فيقول:فكم من الفرق بين أن تعلم حد الصحة وحد

1- أستاذ الفلسفة الإسلامية،كلية العلوم الإجتماعية،جامعة سعيدة.

2- محمد حفيان محاضرات التصوف.السنة الأولى ماستر.2014.

الشبع وأسبابها وشروطها،وبين أن تكون صحيحا وشبعانا؟ وبين أن تعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر،وبين أن تكون سكران!... والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة.فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه،وبين أن تكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا[1]!.

فالصوفية إذا:أرباب أحوال لا أصحاب أقوال.وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته،ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم،بل بالذوق والسلوك.وكان قد حصل معي–من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها،في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى،وبالنبوة وباليوم الآخر.[2]

فأقبل الإمام **الغزالي** على الطريق الصوفي الموصل إلى الحقيقة والى معرفة الله .

وبذلك يكون الغزالي رحمه الله قد جعل من التصوف علما قائما بذاته،ونظّر له، ووضع له قواعد وآداب متكاملة قد لا تجد ذلك عند غيره من صوفية عصره أو من سبقوه.

وبالتالي فطريق التصوف هي طريق بدايتها المجاهدة ثم الترقي في مقامات الطريق وأحواله للوصول إلى الفناء في التوحيد والمعرفة والسعادة،وهذا ما عبر عنه الإمام في كتابه الإحياء:بعلم"المكاشفة" فهو–رحمه الله–:يتبع أسلوبا مميزا لتعليم الناس،بطرحه أسئلة ثم يقوم بالإجابة عليها كقوله":فإن قلت:...ثم يجيب عنها بقوله:فاعلم.."وبنفس الأسلوب يطرح تساؤلا: عن طريق علم الآخرة؟

1- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال،مصدر سبق ذكره،ص28.
2- المصدر نفسه،ص28.

فيقول:فإن قلت:فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله؟ فاعلم أنه قسمان:علم مكاشفة وعلم معاملة،ثم يبدأ بشرحه:"علم المكاشفة":

فيقول:فالقسم الأول:**علم المكاشفة** وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم،فقد قال بعض العارفين":من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة،وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله.[1]

-ولمعرفة طريقة الغزالي وفهمه للتصوف وكيفية وصوله للمكاشفة علينا دراسة كتابه المهم في التصوف"إحياء علوم الدين":

ب- " شرح كتاب الإحياء في علوم الدين " :

إن طريق التصوف هو الطريق إلى الله،والغزالي- رحمه الله- يصور هذا الطريق منذ بدايته وحتى نهايته لأنه عاشها وجربها ولأن من أهم كتب التصوف عند الإمام كتابه:" **الإحياء** " فسنشرح أهم فصوله لمعرفة منهاج الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه" الإحياء ":فهو يجعله على أربعة أقسام رئيسية "قسم العبادات" وقسم العادات"،وقسم المهلكات"،وقسم المنجيات"،ويجعل تحت كل قسم عشرة فصول.

كما أن -قسم العبادات : فيه الكلام عن العلم وقواعده والعقائد والعبادات وآداب تلاوة القرآن والأذكار والدعاء وترتيب الأوراد...

-وقسم العادات :فيه:الآداب المتعلقة بالأكل،الزواج،الكسب:الحلال والحرام،والصحبة والعزلة والسفر والسماع والوجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ص33،ج1.

– **وقسم المهلكات:** يتعلق بالنفس وشهواتها الحسية وآفاتها المعنوية كالغضب والحقد والحسد والبخل والرياء والغرور ويأتي بعد ذلك القسم الرابع:

–**قسم المنجيات:** وهو ما يقصد به :المقامات والأحوال.

ويعرض فيه الإمام: 13 مقام من مقامات التصوف غير أنه لا يذكر فيه مقام المكاشفة لأنه يعتبر هذا المقام علم من أحد علمين: أ)علم **المعاملة**، ب)علم **المكاشفة**.

وبالتالي فهذه **المقامات** توصل السالك إلى مقام المكاشفة الذي هو الغاية والهدف الأسمى.

وهذه **المقامات** هي:التوبة،الصبر، السكر، الخوف ،الرياء، الفقر ،الزهد ،التوحيد، التوكل، المحبة، الشوق، الإنس، الرضا ومعاني : النية، الصدق، الإخلاص، المراقبة ،المحاسبة، التفكر، الموت.

فالإمام الغزالي كما سبق وأن ذكر بأنه:

يقسم علم التصوف إلى قسمين:

كما يقسم علم **المعاملة**:إلى ظاهر وباطن،فالظاهر:هو العلم بأحوال الجوارح والباطن: هو العلم بأعمال القلوب،وما يجري على الجوارح وهو عبادة أو عادة ،أما الوارد على القلوب من أخلاق النفس فيه ما هو محمود وهو:" المنجيات "،والمذموم:" وهو " المهلكات ".

وقد جعل:في كتابه:"**الإحياء**"رسمه الطريق للسالك الصوفي:حتى يتعرف على هذه الفصول الأربعة:فيقول:والعلم بآفات الطريق وغوائله،وجميع ذلك قد أودعناه في:"**كتاب إحياء علوم الدين** " فيعرف(سالك الطريق) ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها:فأما ربع العبادات:فأذكر فيه من الخفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه،وأما ربع العادات: أسرار

المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها،وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه،وأما ربع المهلكات:فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه،وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق:حده وحقيقته،..ثم الآفات التي عليها تترتب،ثم العلامات التي بها تتعرف،ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص،كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار،أما ربع المنجيات:فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين،..[1].

ففي كتاب "**الإحياء**" قد رسم **الإمام الغزالي** وأحاط بجميع حياة السالك،وحتى غير السالك،من أمور الدين والدنيا وكيفية الترقي الخلقي بالمجاهدة،وإحلال الأخلاق المحمودة محل المذمومة،حتى يصل الإنسان إلى المعرفة بالله.

وأساس ذلك كله ومبناه على الخلق ورياضة النفس لأنها طب القلوب،وهو مقدم على طب الأبدان،لأن مرض الأبدان يؤدي للموت،أما مرض القلوب فيؤدي بالإنسان إلى فوات الحياة الأبدية لهذا كان واجب على كل إنسان تعلم هذا النوع من طب القلوب.

لأنها لو أهملت لتراكمت العلل وتظاهرت،فيحتاج العبد إلى معرفة عللها وأسبابها والقيام بعلاجها وإصلاحها،وهو المراد بقوله تعالى : ***(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا)***[2]،وأما الهاء،يقول تعالى***:(وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا)***.

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ص12،ج1.
2- سورة الشمس الآية10.

-كما أنه يقسم في الإحياء التوحيد إلى أقسام:

ج-تقسيمات التوحيد من خلال الإحياء:

يقسم التوحيد:إلى:(4) أقسام ومراتب:وهو يسمي التوحيد بأنه:جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الأخر،فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية:

فالقسم 1:أو كما يسميه(القشر الأول): الذي يقول: لا اله إلا الله بلسانه وقلبه غافل، وقد يصدر من: " المنافقين".

القسم 2:(القشر الثاني) أن يصدق بمعنى اللفظ كما صدق به عموم المسلمين : "وهذا أمر إعتقاد العوام،والمتكلمون هم حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة.

القسم 3:(القشر الثالث):وهو اللباب وهو أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط،وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره،ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده..أن يشاهد بطريق الكشف بواسطة نور الحق:مقام المربين:وأن لا يلتفت إلى الخلق فإن من يرى الكل من الله -عز وجل- كيف يتسخط على غيره؟(وهو مقام الصديقين).[1]

فهو -رحمه الله – كما اتضح سابقا يجيب عن الاعتراضات لمن يرى ويشاهد السماوات والأرض وسائر الأجسام وكثرتها تصدر من واحد.

وبين كيف أن الصوفي لا يشاهد إلا واحد على كثرة أفعاله وصفاته وخلقه.. ويجعل معرفة هذه الأمور: الغاية من"علوم المكاشفة" الذي لا يجوز أن يسطر في كتاب،وإنما هو علم يشاهده من وصل

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج1،ص51.

إليه.والمثال قد سبق في تمثيله للتوحيد بجسم الإنسان رغم تعدد أعضائه ولكنه وحدة متكاملة وهي الإنسان[1].

فكم من شخص يشاهده أي(الإنسان)، ولا يخطر بباله : الكثرة التي يتكون منها،فمقام **الجمع:** مشاهده كل هذه الأشياء من خلق وصنع.

والفرق:هو الالتفات إلى الكثرة،دون الخلق.

والكثرة باعتبارات كثيرة شي واحد وهي في حكم المشاهدة واحد.فإن من يرى الكل من الله عز وجل.

ويحرص الإمام **الغزالي** على التوفيق بين العقيدة الإسلامية والفناء والاعتذار لأصحابه في حالة السكر والشطح.وإن كان يرى بأن ضرره كبير على العوام وأنه كان بالأحرى بهم أن لا يتكلموا به أمامهم.حتى أنه ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم.وقد سبق الإشارة إليه[2].

وهو كإمام من أئمة المسلمين يبين التوحيد الصحيح ويشرحه في كتابه:"الإحياء"وما تقسيمه لتلك الأقسام إلا لبيان أهميته وحرصه على التوحيد وأهله.

كما أن له كتاب آخر: وهو" **مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب** ":

وهو يذكر فيه المنجيات كما يذكرها في قسم الرابع من أقسام "الإحياء " غير أنه: في كتابه المكاشفة يتوسع في المنجيات ويجعلها أكثر من:13 مقام مع شرحه لها.

وعنوان هذا الكتاب يدل على أن الغزالي يجعل المكاشفة غاية وعلما يترقى بها الإنسان السالك عبر مقاماتها للوصول إلى المكاشفة:المرجوة والمبتغاة.وفي أهمية الرياضة والمجاهدة لمعرفة وكشف

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج4،ص308 ،309
2- المصدر نفسه،ج1،ص54.

عيوب النفس فيقول:فمن أراد أن يعرف نفسه فله أربعة طرق الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه وشيخه فيعرفه عيوب نفسه،ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في الزمان وجوده،الثاني أن يطلب صديقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه هكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين[1].

-وأيضا له الرسالة اللدنية:ويقصد بها العلم اللدني الذي يكون من عند الله،ويستخدم فيها مصطلحات النفس القدسية:أي "المتعلم"،والنفس الكلية:أي"القلم"،العقل الكلي:أي"المعلم"،ولا تخرج العملية التعليمية اللدنية عن هذه الأقطاب الثلاث،وصور المعلومات تنتقش على صفحة النفس القدسية بدون واسطة ولا تعلم من خارج ويستدل في هذا التعليم بقوله تعالى:***(وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)***[2]،وبقصة آدم الذي تعلم من دون معلم،وبعلم الأنبياء بلا واسطة ولا وسيلة،وهي من أشرف مراتب التعليم حتى الملائكة اعترفوا بقصور حالهم عن أمام هذه المرتبة[3].

د-)المعرفة عند الغزالي:

يتميز منهاج **الغزالي:** -رحمه الله- عمن سبقه وأتى بعده أنه منهاج متكامل كما أنه جعل من التصوف حياة متكاملة وطريق إلى معرفة الله وقد بين ذلك في كتابه:"**الإحياء**"،وبالتالي: كانت له نظرية متكاملة.

1- الغزالي أبو حامد،مكاشفة القلوب المقرب لحضرة علام الغيوب،تحقيق،عادل بن سعيد بن محمد بن مطاوع،دار الغد،القاهرة2014،،ط1،ص364

2- سورة الكهف الآية65.

3- محمد السيد الجليند،قضية الألوهية بين الدين والفلسة،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،2008،ص295.

فهو يرى:أن أداة المعرفة الصوفية هي:**القلب** وليست الحواس ولا العقل،و**القلب** عنده: ليس تلك اللحمانية المعروفة المودعة من الجانب الأيسر من صدر الإنسان،وإنما هو اللطيفة الربانية الروحانية التي هي حقيقة الإنسان وقد يكون لها بالقلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان[1].

وفي هذا الشأن **يقول محمد السيد الجليند**:*

بأن الكشف الصوفي أو الإلهام يعتبر أهم وسيلة للمعرفة بعد الوحي عند الغزالي،إذ هو مفتاح كثير من العلوم...ثم يقول:إنها إذن معرفة لدنية لا علاقة لها بوسائل الإدراك التقليدية لدى النظار والمفكرين،ولا يصلح لهذه المعرفة إلا القلب الطاهر من علائق المادة إنه القلب الذي امتلأ بذكر الله وتحلى به،فيصبح مؤهلا لمعرفته عن طريق المشاهدة والتعرف على أمور الغيب مما يعجز القلب عن إدراكها،ويركز الغزالي في هذا المقام على القلب كأداة وحيدة صالحة للمعرفة الصحيحة في هذه المرتبة،وذلك لأسباب دفعته إلى الاهتمام بالحديث عنه في كل كتبه المتأخرة.[2]

ويضرب **الغزالي**: مثالا عن القلب: إنه كالمرآة التي تنعكس عليها حقائق الأشياء":وأن القلب كالمرآة والعلم هو انطباع صورة الحقائق في هذه المرآة،فإذا كانت مرآة القلب غير مجلوة، فإنها لا تستطيع أن تعكس حقائق العلوم فالعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة"[3]، والذي يجعل المرآة تصدأ هو: شهوات البدن.

"والإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات،هو الذي يجلوا القلب ويصفيه.

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ص4،ج3.
*- أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة.
2- محمد السيد الجليند،قضية الألوهية بين الدين والفلسفة،مرجع سابق،ص289.
3- الغزالي،أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج3،ص17.

فالمعرفة بالله: كما يرى الغزالي هي معرفة فطرية.فإن الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين[1]،وهو في ذلك يستدل بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–**((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)).**[2]

هـ–دليله على أن القلب أداة المعرفة بالله :

يعطي مثلا: فيقول لو فرضنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه،ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض،ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أكثر وأغزر،وكذلك القلب مثل:الحوض والعلم مثل:الماء،وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس،والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما،ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة،وغض البصر و يعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه، حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله.[3]

فمنهج المعرفة كما هو موضح وكما يراه الإمام **الغزالي** هو منهج الصوفي وهو المنهج الحقيقي الموصل إلى معرفة الله،فكل الطرق الأخرى سواء كانت مناهج المتكلمين أو مناهج الفلاسفة غير موصلة إلى المعرفة بالله.إذن فمنهج المتصوفة هو منهج المعرفة بالله وهذه المعرفة تكون بالكشف،وهي المعرفة القلبية،فالكشف:عند **الغزالي**–رحمه الله–هو منهج ذوقي خاص يختلف عن المناهج الأخرى من المعرفة سواء كانت حسية،أو عقلية،أو حدسية .

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج3،ص69.
2- الحديث رواه البخاري تحت رقم(1385) ومسلم.(2658)
3- المصدر نفسه،ج3،ص27.

يحصل الكشف:عند **الغزالي:** في القلب ويهجم عليه كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري،وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم.فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل: يسمى إلهاما،والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا.[1]

فالأنبياء والأولياء:انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب،بل بالزهد في الدنيا والتبرؤ من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى.فمن كان لله كان الله له [2]،وأحيانا يصفها بأنها **الحكمة** فإذا ظهرت من القلب الذي مصدر المعرفة فهي **الكشف** فكل حكمة تظهر من **القلب** بالمواظبة على العبادة من غير تعلم ولكن بشرط:محو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى...وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت[3]،وبالتالي فيكون كشفه"إلهاما". فأول ما حصل للإمام **الغزالي**–رحمه الله– بعد الحيرة والشك:هو ذلك النور الذي قذفه الله في قلبه وبدأ مسيرته مع هذا النور وقد غير للشيخ حياته،فكشف له طريق الحقيقة وأغلق عنه باب الحيرة بقوله:"بل بنور قذفه الله في الصدر .وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله [4]".

إذن فالكشف،عند الإمام،هو أرقى مناهج المعرفة،ومصدره حاسة القلب التي هي أقوى حاسة لدى الإنسان في مجال المعرفة.

وقد سبق أن قسم "**الغزالي**": العارفين ومناهجهم إلى ثلاث درجات:

أ) **الإنسان العادي:**وهو الذي يقصد به":إيمان العوام" وهو: إيمان التقليد المحض.

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج3،ص25.
2- المصدر نفسه،ج3،ص26.
3- المصدر نفسه،ج3،ص25.
4- الغزالي أبو حامد،المنقذ من الضلال،مصدر سابق،ص7.

ب)**<u>إيمان المتكلمين:</u>** الذين يستخدمون ويمزجون بنوع استدلال،(إيمانهم قريب من درجة إيمان العوام)

ج)**<u>إيمان العارفين:</u>** وهو المشاهد بنور اليقين.وبالتالي: فمشاهدتهم هي عين اليقين[1].فالمشاهدة كما هو واضح عند الغزالي هي عين اليقين وهي نفسها كما سبق في كلام الطوسي في:المكاشفة وجعلها في المرتبة الأخيرة مرتبة **حق** اليقين:**(المشاهدة)** ويأتي قبلها مرتبة **عين** اليقين وهي مرتبة:**(المكاشفة).**

وضرب أروع أمثلة عن هؤلاء الثلاثة: فقال **العامي** يصدق إذا أخبر بأن في الدار رجلا،**والمتكلم** عند سماعه كلام الرجل في الدار فيستدل بوجوده،**والصوفي:**هو الذي يدخل للدار ويشاهد الرجل فيها مشاهدة حقيقية [2].وهي حق اليقين.

إذن فمن خلال هذه المقدمات نستنتج أن **المكاشفة** عند الإمام:"**هي رفع الغطاء ورؤية الأشياء مجرى العيان**".ولكي نعرف ماذا يقصد الإمام برؤية الأشياء مجرى العيان يجب أن نتوسع في مفهومه للمكاشفة من خلال"الإحياء"،ومن خلال النتيجة التي توصل إليها عبر تصوفه.

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج3،ص21.
2- المصدر نفسه،ج3،ص21،بتصرف.

المبحث الثالث: مفهوم المكاشفة(من خلال كتاب الإحياء):

ا)مفهوم المكاشفة عند الغزالي:

جاء في **الإحياء**:فنعني بعلم **المكاشفة**:"أن يرفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذي لا يشك فيه"[1].

فرؤية الصوفي للأشياء وكأنها أمامه فينجلي عنه الشك وتتضح له الحقيقة،وبعد أن يتكلم الشيخ رحمه الله عن شرف طريق الآخرة:على علم الفقه.

فيطرح تساؤلا:يقول:إن قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا: يشير إلى تراجمه؟ – فاعلم أنه قسمان علم **مكاشـــفة**، وعلم **معاملة**.

ثم يستطرد فيقول:فالقسم الأول:علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم وقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة،وأدنى نصيب منه :التصديق به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم " بدعة،أو كبر"[2]،وقد بدأ بذكر ما يمنع وقوعها بأسلوب:"التخلية والتحلية"،وذلك بتخلية القلب عن البدع والكبائر،ثم بعد ذلك تأتي التحلية بما يقع على القلب من إلهامات وكواشف.

ب–موانع المكاشفة كما يقول:

أولها **البدعة**: المحدثة في الدين،وثانيها **الكبر**: فالمتكبر لا ينال العلم،وهما من الشبه في الدين، ثم يذكر رحمه الله أن حب الدنيا والإصرار على الهوى تمنع حصوله وهما من الشهوات في الدنيا.

1- أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره المصدر نفسه،ج1،ص34.
2- المصدر نفسه،ج1،ص33.

فمن انغمس فيهم لم يذق طعم الكشف.

وعلم المكاشفة: كما يرى الإمام:"هو علم الصديقين والمقربين فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة،وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسمائها[1]،فمن جرب ليس كمن سمع.

ودرجة هذا **العلم**:هي أعلى الدرجات،وهي درجات المقربين لأنه بها تحصل المعرفة الحقيقية بالله،وأسمائه، وأفعاله،والنبوة ومعاني الوحي والآخرة،ومعنى الملائكة ومعنى الشياطين،وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم،ومعرفة ملكوت السماوات،والأرض ،ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة،والشياطين ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشياطين ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب،ويستدل الإمام بآيات من كتاب الله تعالى: كقوله تعالى:***(اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسِيبًا)***[2]،ومعنى قوله:***(وَمَا الحَيَاةُ الدُنيَا إِلاَ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَ الدَارَ الآخِرَةَ لَهِيَ اَلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُونَ)***[3]،ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره وحصول السعادة بمرافقه الملا الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت أهل الجنان... [4]،ويجعل من وصل لأعلى درجات التصفية وانكشف له هذا النور انكشافا فقد حصلت له السعادة بمجاورة الملائكة والنبيين والقرب من الله.

أما **علم المعاملة**:وهو ما يتعلق بالعلم بأحوال القلب، كالصبر، شكر الخوف الرجاء، وهذا ما يحمد وأما ما يذم : كالحسد،الغل،الحقد ...الخ.

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج1،ص34،33.
2- سورة الإسراء الأية 14.
3- سورة العنكبوت الأية 64.
4- المصدر نفسه،ج1،ص34.

فالمكاشفة عند الغزالي: عندما يتكلم–رحمه الله–في كتابه"**إحياء علوم الدين:**"ج2" ربع العادات في ذكر اختلاف العلماء في **إباحة السمّاع** وكشف الحق فيه:فيقول"السابع:" سماع من أحب الله وعشقه والاشتياق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه .. مستخرج منه أحوالا من **المكاشفات** والملاطفات لا يحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى أحوالا بلسان الصوفية ووجدا،مأخوذ من الوجد ...ثم تكون أسباب لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من كدوراتها كما تنقي النار الجواهر من الخبث ،ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطلب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات"[1].

فيتكلم–رحمه الله–:إن من الأحوال هناك مكاشفات يصل إليها العبد عند تذوقه الحقيقي ومن لم يتذوق لم يصل إلى هذه الأحوال وحتى يصل إليها عليه أن ينقي قلبه كما تنقي النار خبث الحديد...وأن التذوق يكون بسماع من أحب الله سماعه وعشقه والاشتياق إلى لقائه وهي غاية الطالبين،ويجعل المشاهدات والمكاشفات مرتبة واحدة،فمن وصل إلى المكاشفة فقد شاهد.

فالإمام الغزالي: لما يقسم التصوف إلى قسمين:1– **علم معاملة، :2–علم مكاشفة.**[2]

قد بين الأول:في كتابة **الإحياء**،وأشار للثاني أيضا:في نفس الكتاب لكنه يرى أنه لا رخصة لإيداع هذا العلم الكتب،وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله.ولهذا فقد ألف كتابه"**المضنون به على غير أهله**"لأنه كان يرى أن هذه العلوم لا يتكلم بها مع العامة،وإنما مع أهلها ولذلك فقد شنع على البسطامي والحلاج مقولاتهم أمام العامة كما سبق.

ويرى أن الواصل إلى علم المكاشفة قد تحقق بجميع الحقائق،ووصل إلى درجة الفناء والمشاهدة.

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج2،ص353.
2- المصدر نفسه ج1،ص33

ومن هنا نرى أن شيخنا كان يعتذر لهم،فالوحدة لا ترى وإنما تشاهد فيمكن للإنسان أن يدرك الشيء الواحد على أنه كثير كما يمكن أن يدرك الكثير على أنه واحد،وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه،فهو إنسان واحد وكم من شخص يشاهد إنسان ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه..والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة،فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد،وباعتبارات أخرى سواه كثير[1].

فلا يجب قول مثل هذا الكلام أمام العامة،فإنه لكل مقام مقال وأن الناس يجب أن ينزلوا حسب عقولهم وهذه العلوم لا يتحدث بها إلا مع أهلها،ولهذا تسمى أحولا لأنها غير ثابتة،فالأحوال التي تقع للإنسان بعد طول الذكر والتذوق فتهجم على القلب ولكنها سرعان ما تزول.

ج) شروط المكاشفة عند الإمام الغزالي فيقول:-رحمه الله-:

منها أن يكون أكثر اهتمامه:**بعلم الباطن**،ومراقبة **القلب** ومعرفة طريق الآخرة **وسلوكه وصدق** الرجاء في انكشاف ذلك:**بالمجاهدة،والمراقبة** فإن **المجاهدة**:تفضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب،ومباشرة الأعمال الظاهرة الباطنة و الجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبـــع الكشف[2].

وحتى نعرف مفهوم **المجاهدة** يشرحها:محمد حفيان:بعد أن يورد أقوال:ابن خلدون:في كتابه"شفاء السائل لتهذيب المسائل:

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج4،ص،309.
2- المصدر نفسه،ج1،ص98.

"**أنها إتيان ما وظف على شرط الواجب وشرط الواجب إتيان به على غير مطالب بالعوض**".

وهي على ثلاث أنواع:

1)مجاهدة التقوى:وهي الوقوف عند حدود الله، 2)مجاهدة استقامة:وهي تقويم النفس،وحملها على التوسط في جميع أخلاقها حتى تتهذب بذلك وتتحقق به. 3)مجاهدة:الكشف والإطلاع:ومجاهدة الكشف والإطلاع هي إخماد القوى البشرية وخلع الصفات البدنية بمنزلة ما يقع للبدن بالموت ثم محاذات شرط الحق باللطيفة الربانية لينكشف الحجاب،وتظهر أسرار العوالم والعلوم واضحة للعيان ويقع بالتصفية،ولهذه المجاهدة شروط:-أ: حصول التقوى،-ب: حصول الاستقامة،ج-:الإقتداء بشيخ سالك خبير بالمجاهدات -د:قطع العلائق كلها عن النفس:بالزهد في كل شي،-هـ:صدق الإرادة[1].

وفيما يخص شرط الإقتداء بشيخ سالك من شروط سالك فيقول الإمام **الغزالي**:أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشاراته في **مجاهدته**.وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه،فيعرفه أستاذه،وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه.[2]

وأما شروط الشيخ السالك: يقول **الغزالي**:-فإنه لابد أن يكون مربيا وأن يراعي الفروق الفردية بين المريدين.

وكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين،ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص،وفي طريق مخصوص،ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم،كما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم،وكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حالة وسنه ومزاجه وما

1- محمد حفيان، محاضرات التصوف.سنة أولى ماستر،2014،2015

2- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج3،ص84.

تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته [1]،فهو كإمام مربي يتلطف بالمريدين وبأن لا يتهجم عليهم الشيخ بالتكاليف،وحتى في علاجهم ينبغي ألا يعالجهم بعلاج واحد وإلا قتل أكثرهم.

كما أن الشيخ **الغزالي** يشير على المريد السالك الالتزام:**بالخلوة والصمت والجوع والسهر** من أجل إصلاح قلبه ليشاهد ربه وفائدة الخلوة عنده تفريغ القلب عن الشواغل الدنيوية التي تشكل العقبات ولا عقبة عن طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا[2]،لأن ضررها كبير وهي فتنة لهذا يشير الغزالي–رحمه الله–إلى **الخلوة**،ويستدل بما ورد في السيرة النبوية وذلك لاعتزال الرسول: –صلى الله عليه وسلم–في ابتداء أمره حيث كان يتبتل في غار حراء وينعزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة،فكان الخلق لا يحجبونه عن الله،فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله،فأخبر النبي–صلى الله عليه وسلم–عن استغراق همه بالله فقال((**لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله**))[3].

والأمر الثاني:**الصمت** كذلك فالنبي:–صلى الله عليه وسلم– كان يحب الصمت ونهى عن كثرة الكلام، وأخبر أن سبب هلاك أمته:**مابين لحييها،وفخذيها**.

فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع،ويعلم التقوى ولهذا فينبغي للمريد أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب،وشره القلوب:إلى الكلام عظيم،فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه.[4]

ثالثا:**الجوع**:فائدته أنه يهذب البدن وشهوته ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته،ورقته:"مفتاح المكاشفة."

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سبق ذكره،ج3،ص80.
2- المصدر نفسه،ج 3،ص100
3- خرجه العراقي،وقال رواه مسلم من حديث ابن مسعود،والحديث من المصدر نفسه،ج2،ص286.
4-المصدر نفسه،ج3،ص99.

كما أن قسوته سبب الحجاب،ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فإن مجاريه:العروق الممتلئة بالشهوات[1]،وقد كان النبي–صلى الله عليه وسلم–ينهى عن كثرة الأكل ويقول فإن كان لا بد:فثلث لنفسك،وثلث لأكلك،وثلث لمائك.

أما رابعا فالسهر: وهو يجلو القلب ويصفيه وينوره.

وبالتالي:يصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق،**والسهر**:نتيجة الجوع فالسهر مع الشبع غير ممكن،والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب:"**المكاشفة**" لأسرار الغيب[2].

والغزالي–رحمه الله–:بعد أن يسوق أقوال:النبي– صلى الله عليه وسلم–:**((من عمل بما علم ورثة الله علم ما لم يعلم[3]))**.

يستدل بقول سهل بن عبد الله التستري: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء.

ويقول:النبي الله–صلى الله عليه وسلم–:**((استفت قلبك وإن أفتوك و أفتوك و أفتوك))**.[4]"

وإدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر فكم من معاني دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلوا عنها كتب التفاسير وأفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين واستحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج3،ص99.
2- المصدر نفسه،ج3،ص99.
3- العراقي،تخريج أحاديث الإحياء،رقم03/28.
4- المصدر نفسه،ج1،ص98

الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه"[1]،فميزان قبول الأعمال هو الباطن وليس الظاهر،لهذا ينكشف لمن كانت لهم الهمم العالية المتجردين للذكر والفكر.

ثم يذكر شرطا أخر-رحمـــه الله-5-**اليقين**:فهو رأس مال الدين لقولـه:-صلى الله عليه وســلم بأن اليقين هو الإيمان فلابد من تعلمه أي تعلم أوائله حتى ينفتح للقلب طريقه ثم يبدأ بشرح اليقين وقوته وضعفه فيقول:فإن اليقين هو رأس مال الدين قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-**((اليقين الإيمان كله[2]))** وقوله: أيضا**((تعلموا اليقين))** حتى لا يجد الشك مجالا للقلب لهذا كان اليقين رأس مال الدين وأساسه[3].

ومن الشروط أيضا لحصول الكشف:وهي:6-**التصفية و7-التطهير**:بالكف عن الشهوات والإقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم بقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه"[4]، وبأنه لا سبيل لذلك إلا بالرياضة وبالعلم والتعليم فهذه العلوم لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه شيء منها إلا مع أهلــه،وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة،وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الخفي الذي أراده -صلى الله عليه وسلم-:**((إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا انطلقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما أتاه الله تعالى علما منه - فإن الله تعالى لم يحقره إذا أتاه إياه[5]))**.

فالإمام -رحمه الله - لما يذكر طرق **التصفية والتطهير**،فهو يتكلم عن التخلية والتحلية أي التخلية من الذنوب والمعاصي وتحلية القلب بالطاعات والقربات وبالأخلاق الحسنة،التي تهذب السلوك وتنقل الإنسان إلى أعلى الدرجات.

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج1،ص99.
2- صحيح البخاري،والمستدرك على الصحيحين،رقم3624.
3- المصدر نفسه،ج1،ص99.
4- المصدر نفسه ج1،ص34.
5- قال العراقي في تخريج الإحياء،سنده ضعيف،(1/39).

د-أنواع الكشف:

مما سبق يتضح أن الكشف عند الغزالي يكون إما **وحيا** وهو ما تختص به الأنبياء،وإما **إلهاما** وهو ما تختص به الأولياء،**فالكشف:**إما أن يحصل في القلب ويهجم عليه كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري،وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم.فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل: يسمى **إلهاما**،والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا.[1]

فالأنبياء والأولياء:انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب،بل بالزهد في الدنيا والتبرؤ من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى.فمن كان لله كان الله له [2].

إذن باستقراء رأي الغزالي في الكشف الصوفي نجده يقسمه إلى قسمين:

1-**الوحي**:وذلك يحصل عندما تكمل النفس بزوال أدران الحرص والأمل،وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا،وينقطع نسبها عن الأماني الفانية،..فينظر الله إليها ويتخذ منها لوحا، ومن النفس قلما،وينقش فيها جميع علومها،ويصير العقل الكلي كالمعلم،والنفس القدسية كالمتعلم،فتحصل جميع تلك العلوم للنفس،وينقش فيها جميع الصور من غير تعلم ولا تفكر.

ثم يقول بأن هذا هو العلم اللدني:الذي وضع الغزالي له مؤلفا مستقلا بذاته وهي:"الرسالة اللدنية".

2-**الإلهام**:وهو تنبيه النفس الكلية للنفس الجزئية على قدر طاقتها واستعدادها وصفائها،وإذا كان الوحي تصريحا بالأمر الغيبي،فإن الإلهام تعريض وتلويح به،والعلم الحاصل بالوحي يسمى علما نبويا،أما

1- الغزالي،أبو حامد، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج3،ص25.
2- المصدر نفسه،ج3،ص26.

الحاصل بالإلهام فيسمى علما لدنيا،والعلم اللدني هو الذي لا واسطة فيه بين النفس وبين الله،فهو كالضوء من سراج الغيب يقع على القلب الصافي المستعد للتقبل.[1]

وهناك من يصف الإلهام أو الكشف الذي يراه **الغزالي** بأنه:رؤية **حدسية قلبية ومشاركة روحية تؤدي للجوهر الصافي**:فيقول أن هناك طريقان للمعرفة مختلفان جدا:

-أحدهما:طريق المشاهدة الحسية والتحليل النطقي الذي يؤدي إلى رؤية الأشياء وملاحظتها من الخارج،بالإلتفاف حولها دون النفاذ إلى كنهها والسريان في جوهرها.

-والثاني:طريق الرؤية الحدسية بالتعاطف القلبي والمشاركة الروحية المؤدية إلى الجوهر الصافي،والموصلة إلى ما سماه الغزالي(النفث في الروع)أو(النور الذي يقذفه الله في الصدر[2]).

وسنعرض أدلة الغزالي في إثباته للكشف كما يراه وإعطائه للأمثلة على ذلك للوحي والإلهام

هـ-أدلة الكشف عند الغزالي :

يرى الإمام **الغزالي** أن الدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمور من بينها :**الرؤيا الصادقة** كما أخبر الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- عندما قال:((**بأنها جزء من ستة وأربعون جزء من النبوءة**[3])).

"فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل **الإلهام** بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل **الرؤيا الصادقة** وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة، كما يكون في المنام وهذا أعلى درجات، وهي من درجات **النبوة العالية**،

1- محمد السيد الجليند،قضية الألوهية بين الدين والفلسفة،مرجع سابق،ص296،295.
2- مرحبا عبدالرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،مرجع سابق،ص649.
3- صحيح مسلم تحت رقم(2263).

كما أن **الرؤيا الصادقة** جزء من ستة وأربعون جزءا من النبوة "[1]،فما يقع للمؤمن في الرؤيا الصالحة قد يكاشف فيها بأنواع المكاشفات،فلما لا يكاشف في اليقظة إذا وصل لأعلى الدرجات بالمجاهدة والتقوى؟

ويستدل أيضا بإخبار:الرسول–صلى الله عليه وسلم –عن الغيب وأمور في المستقبل:فإذا جاز ذلك للنبي:–صلى الله عليه وسلم–جاز لغيره،إذ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– شخص كوشف بحقائق الأمور،وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى:"**نبيا**" بل يسمى:"**وليا**"، فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصالحة لزمه لا محالة أن يقر بالبصيرة، أو بتعبير آخر أن يقر بباب القلب فينفتح عالم الملكوت، وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي [2]،فالنبوة لما أغلقت،والخلق يحتاجون لمن يصلح أحوالهم في كل الأوقات بقي باب الإلهام لهؤلاء الخاصة من الناس حتى يثبتهم الله ويشتغلون بإصلاح الخلق،وأيضا فإن **الرؤيا الصالحة:** من عجائبها انكشاف الغيب فيها، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل في اليقظة، فلم يفارق النوم في اليقظة : إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائب لاشتغاله بنفسه، فلا يسمع، ولا يبصر.

أما الأدلة من القرآن:قوله تعالى:***(وَالَذِيْنَ جَاْهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَ اَللهَ لَمَعَ المُحْسِنِيْنَ)***[3].

وقوله أيضا:***(يا أَيُهَا الَذِيْنَ آَمَنُوا إِنْ تَتَقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِرْ عَنْكُمْ سَيِئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُوْ الفَضْلِ العَظِيْمِ)***[4].

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج1،ص111
2- المصدر نفسه،ج1،ص112.
3- سورة العنكبوت الأية 69.
4- سورة الأنفال الأية 29.

-أي نورا : يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات،وقوله: – صلى الله عليه وسلم-((**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**[1]))وسئل –صلى الله عليه وسلم- عن قوله:(**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**).

ما هذا الشرح ؟ فقال –صلى الله عليه وسلم "-:(**هو التوسعة**).

إن النور إذا قذف به في القلب.اتسع له الصدر وانشرح،وقال:-صلى الله عليه وسلم-((**إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم**[2])).

المحدث:هو الملهم ،والملهم:هو الذي انكشف له الحق في باطن قلبه لا من المحسوسات أو المعقولات

وهناك أدلة قرآنية كثيرة تصرح بأن التقوى هو مفتاح الفرج والكشف فهذا:(الخضر):لم يتعامل بالمحسوسات أو المعقولات وإنما بالعلم الرباني،قال تعالى:(***وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا***)[3].

أي:علم الغيب، يقول:**ابن عطية:** كان علم الخضر:علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام بحسبها.

وكان علم موسى:علم الأحكام والفتية بظاهر أحوال الناس وأفعالهم[4].

يقول **الزمخشري**:-رحمه الله-(***رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا***):هي الوحي والنبوة،(***مِنْ لَدُنَّا***):مما يختص بنا من العلم:وهو الإخبار عن الغيوب،"رشدا":قرأ بفتحتين وضمة وسكـون أي:علما ذا رشد أرشد به في ديني[5].

1- رواه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى تحت رقم(6/290).
2- رواه البخاري(3689)،ومسلم(2398).
3- سورة الكهف الآية65.
4- القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن،تخريج،أحمد بن شعبان ومحمد بن عبد الحليم،مكتبة الصفا،ج11،ص14
5- الزمخشري أبي القاسم، تفسير الكشاف،اعتنى به خليل مأمون شيخا،ط2،دار المعرفة،بيروت2005،ص625.

والغزالي –رحمه الله– يحرص على أن يميز كشف الصوفية"**الإلهام**"،عن"**وحي**"الأنبياء حتى لا تخلط الناس بينهما،فيقول في كتابه:**الإحياء**:اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب كأنها ألقيت فيه من حيث لا يدري وتارة تكسب بطريق الاستدلال والتعلم:فالذي يكسب لا بطريق الدليل وحيلة:الاكتساب يسمى: "**إلهاما**" والذي يحصل بالاستدلال يسمى "اعتبارا واستبصارا"[1].

"**فالإلهام**" الذي يهجم على القلب:هو"**الوحي**" للأنبياء عليهم –أفضل الصلاة والسلام.

وقد ميز الإمام الغزالي هذا النوع من الوحي من غيره من الإلهامات فسماها: بما يقع ويحصل بالاستدلال والذي يختص به العلماء ويسمى أيضا اعتبارا أو استبصارا.

وذلك حتى لا يقع بين الناس خلط في الوحي وغيره من الإلهامات التي تقع للصالحين وأهل التقوى.

فالإلهام والنفث في الروع: تختص به الأولياء والأصفياء.

الوحي: وهو ما يختص به الأنبياء.

وقد جعل الإمام –رحمه الله –المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بالهمة على الله سبحانه:من أهم الشروط لحصول المكاشفة فيقع النفث في الروع الذي لا يدري بسببه ولا من أين جاء.

أما بالنسبة للأنبياء فالله قد طهرهم وزكاهم ومحا عنهم كل الصفات المذمومة وعصمهم:لاستقبال الوحي فمعرفة:"النبي": يعرف سببها و يعرف نزول الملك عليه،ومعرفة الولي:**قلبية** إلهامية من دون نزول الملك،وكلاهما **النبي،والولي:** موقنان بأن المعرفة إلهية من الله تعالى.

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج3،ص25.

- **ولهذا لما يعرف الإمام الغزالي – رحمه الله – علم المكاشفة:**

يجعل من ثمرته الوصول إلى معرفة الله:فلا يرى في الوجود إلا الله وأفعاله،وما من شيء إلا ويري فيه الله،فكأنه يتكلم عن الفناء،وليس هو :فناء وحدة الوجود.فالفناء كما يقول:هو مشاهدة أفعال الله وصفاته فهذه **المكاشفة** في حالة الفناء:تكون لخاصة الخاصة ولا يجوز إيداعها الكتب[1]،فالمكاشف : قد غاص لجة الحقائق وتحقق بمحض الإخلاص،يخبرنا الأستاذ محمد حفيان عن الجنيد–رحمه الله–:أنه لما يريد الكلام عن التوحيد مع تلامذته يغلق الباب ويضع المفتاح تحت وسادته لأن هناك من الكلام يكون لخاصة الخاصة،يقول:علي–رضي الله عنه–:((**حدثوا الناس حسب عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله**)).

وبالتالي:من وقع في نوع من أنواع الفناء فهو نوع من أنواع مقامات علوم المكاشفة،وقد سبقه مقامات أخرى أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس.

في حين يجعل أئمة تصوف:القرنين"الثاني والثالث:(2هـ–3هـ)":المكاشفة مقام من المقامات،وبالتالي أخذت بعدا آخر.

أما الغزالي– رحمه الله – يجعله علمـــا من العلوم، ويجعل من مقاماته:الفناء في المشاهدة.

- **تأثير الإمام الغزالي – رحمه الله – :**

لقد كان أثر الإمام **الغزالي**–رحمه الله– على من أتى بعده من الصوفية كثيرا خصوصا وأنه وضع قواعد ومنهاج خاص به للتصوف وجعل آدابه علمية عملية قابلة للتطبيق وليس نظرية فقط.ويتجلى هذا

1- الغزالي أبي حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج1،ص34.

الأثر في المدارس والطرق التي انتشرت من بعده وأصبحت تطبق التصوف كعلم قائم بذاته والتزمت بمنهج وطريق معين وكل ذلك أصبح ممكنا بعد أن عاشه الإمام وتذوقه ونظر له– رحمه الله–.

وكذلك بالنسبة لكتب الإمام: يبدوا واضحا أنها كان لها الأثر الكبير على مجتمعه،وعلى من أتى بعده.

فبخصوص الفلسفة وكتابه الشهير:" **تهافت الفلاسفة**" الذي يقال بأنه كان أثر كبير وأنه قضى على الفلسفة في الشرق نهائيا.

وقد كان له الأثر الكبير أيضا على الطريقة الشاذلية:التي تأثرت به وخصوصا في طريقة تصوفه،ولتجربة الفناء المغايرة لما كان عليه "الحلاج"،والبسطامي":وهي أقرب للسنة وللواقع من تفسيرات غيره.لهذا كان له الأثر الكبير عليها[1].وخصوصا أنه تذوق التصوف وعايشه فالخبر ليس كالمعاينة،والمتذوق ليس كالدارس.

فهو إن كان يحدث عن التصوف فهو يخبر عنه كمجرب خاض بحاره وعايش أغواره.

لهذا كانت فلسفته في التصوف لها الأثر الكبير على المتصوفة من بعده.

فهو يتحدث من خبرة،وهو في علم **المكاشفة** التي قال عنها بأنه لا يجوز إيداعها الكتب،بل هي خاصة بأهل التصوف ومن ذاقوا حلاوته،ولا يجوز لهم التكلم إلا لمن ذاق ومن لم يذق لم يكشف له.

وأن هذا العلم لم يتكلم فيه أهله إلا بالرمز والإيحاء على سبيل التمثيل والإجمال:

وأما علم"**المكاشفة**": فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيحاء:علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء.كما أن هذا العلوم لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله.وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة،وبطريق الأسرار،وهذا هو العلم الخفي الذي

1- التفتازاني أبو الوفا، مدخل إلى التصوف الإسلامي، مرجع سابق،ص235.

أراده الرسول–صلى الله عليه وسلم–((**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى،فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى،فلا تحقروا عالما أتاه الله تعالى علما منه،فإن الله –عز وجل– لم يحقره إذ أتاه إياه**))[1].

إذن كخلاصة عامة:**فعلم المكاشفة**:عند **الغزالي** قد مر بمراحل حتى وصل إلى ما وصل إليه في وقته فهو يسير مع تطور **المفهوم الصوفي** جنبا إلى جنب:فيمكن أن نمثل له والتصوف بخطين مستقيمين.

فالقرنين (الأول والثاني):كان التصوف:كمصطلح عبارة عن مفهوم للزهد والعبادة.ثم بدأ المصطلح:كمنتج مع:السرسقطي،وذو النون المصري،والجنيد–رحمهم الله–:"في القرنين الثالث والرابع"،ووصل إلى ذروته في نهاية القرن:(الرابع) وبداية القرن:(الخامس)،مع الإمام الغزالي فكذلك مفهوم المكاشفة:كان في أوائله:كمصطلح:" لليقين" في القرنين:(الأول والثاني)،ثم تطور مع إنتاج مصطلح التصوف في القرنين:(الثالث والرابع)إلى مقام من المقامات يكون في أوائل الطريق للسالك" **كشفا**":وهذا الكشف حال من الأحوال يتهجم على السالك لكن سرعان ما يزول" ويبدأ السالك بالترقي عبر المقامات إلى أن يصل إلى مرتبة أو مقام **المكاشفة** وهذه المقامات ثابتة ومستقرة لا تزول مثل الأحوال،كما اتضح سابقا في الرسالة القشيرية،ثم أصبح علما من العلوم عند الغزالي في نهاية القرن:(الرابع)وبداية (الخامس).

فأول من تكلم في الأحوال والمقامات:ذو النون المصري،وأول من نظم الأحوال والمقامات:السرسقطي،وقد بدأ التصوف في أوائله:على الزهد والتقشف والعبادة ثم بدأ يتطور مع القرنين الثالث،والرابع:مع السرسقطي،وذا النون،والجنيد..ووصل للذروة مع الإمام الغزالي[2].

1- الغزالي أبي حامد، إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،مصدر سابق،ج1،ص34.
2- توفيق الطويل.في تراثنا العربي الإسلامي،عالم المعرفة،الكويت،1985،ص155

ومن محاضرات التصوف للأستاذ "حفيان محمد" عن مراحل التطور التاريخي للتصوف:بأنه قد مر بثلاث مراحل:

-المرحلة(1):النشأة وتسمى:مرحلة الزهد:من القرن الأول إلى منتصف القرن(3هـ)وأهم مدرستين تشهد لهما-مدرسة:بغداد ومدرسة خراسان،وأن أهم ما يميز هذه المرحلة من كتب:كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل،وكتاب الزهد لابن المبارك،وكتاب الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي..ومن أعلا

-المرحلة الثانية(2):تسمى مرحلة النضج والتربية وإنتاج المصطلح والتدوين وتبدأ من سيد الطائفة الجنيد(ت:297هـ)وتنتهي عند الغزالي(ت:505هـ).ميزاتها:عدم الاكتفاء بأحكام العبادات بل الاعتناء بأسرارها،وعدم الاكتفاء بالزهد والتقشف بل الاعتناء كذلك بالتربية والترقي في المقامات،وعدم الاكتفاء بالأخلاق بل الاعتناء بكيفية اكتسابها وعدم الاكتفاء بإتباع السلف في الأحكام والاعتقادات بل الاعتناء كذلك بالمعرفة والكشف والشهود وعدم الاكتفاء بالأذكار وأدعية المروية بل والاعتناء كذلك بآثار الذكر من إلهامات وخواطر وما يترتب من أحوال الذكر هذا بالإضافة إلى غلبة التأمل والغوص في معرفة الذات،وما يتعلق بالتربية الروحية وتعيين معالمها،وبداية ظهور النظريات في عالمي اللاهوت والناسوت وإنتاج المصطلحات،وتعتبر هذه المرحلة بداية ظهور الشطح الصوفي الموحي بالاتحاد والحلول،وبداية ظهور المؤلفات الشاملة التي تدون تاريخ التصوف وتاريخ أعلامه ومواقف ومقالات رجالاته ونظرياته وأشعارهم كما تعتبر هذه المرحلة بداية ظهور نواة الطرق الصوفية ذات المنحى التربوي الصوفي الاجتماعي الذي سيصبح سمة بارزة في:

-المرحلة الثالثة(3)،أما أعلام هذه المرحلة:هم قطبيها(الجنيد،والغزالي)[1].....

1- محمد حفيان محاضرات التصوف.سنة1ماستر.2014،2015.

وبهذا"**فالتصوف**":كمصطلح مثله مثل:"**المكاشفة**" قد مرا بمراحل حتى نضج هذين المصطلحين ووصل إلى ما وصل إليه من اكتمال في أواخر القرن الخامس علي يدي الإمام المجدد الغزالي–رحمه الله–.

وسنقوم بتمثيل هذين المصطلحين:"**التصوف،والمكاشفة**" بخطين متوازيين حسب تطورهما الزمني إلى جانب بعضهما البعض وحتى نهاية القرن الخامس:

أ– مصطلح التصوف:

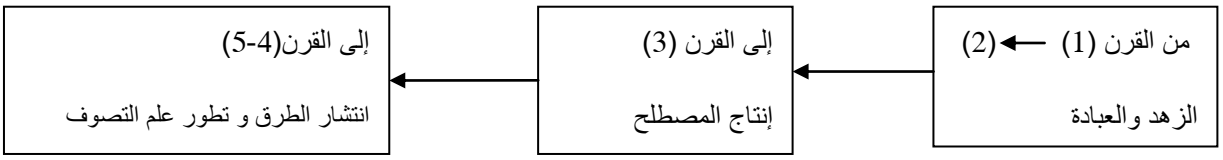

ب– مصطلح المكاشفة:

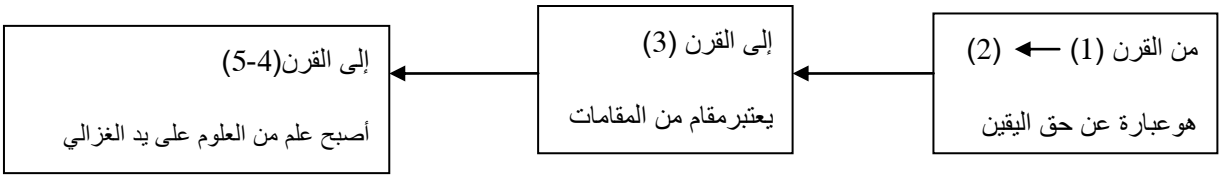

الفصل الثالث

مفهوم المكاشفة عند الغرب و العرب من المنتقدين

المبحث الأول : مفهوم المكاشفة في الفلسفة الغربية

المبحث الثاني : آراء المنتقدين و المخالفين

الفصل الثالث: "تجليات مفهوم المكاشفة عند الغرب والعرب من المنتقدين"

المبحث الأول:مفهوم المكاشفة في الفلسفة الغربية

-التصوف والمكاشفة في الفلسفة الغربية:

أ)لقد ذهب عالم النفس الأمريكي وليم جيمس *(william james):

إلى أن أحوال التصوف تتميز بأربع خصائص:

1) **أنها أحوال إدراكية:**إذا تبدوا لأصحابها على أنها حالات معرفة وأنه يكشف لهم فيها عن حقيقة موضوعية،وأنها بمثابة الإلهامات وليس من قبيل المعرفة البرهانية:فهو يتكلم أن أول خاصية للتصوف هي الكشف عن الحقيقة،وأنها ليست معرفة برهانية كالفلسفة.

2) وهي أيضا أحوال لا يمكن وصفها أو التعبير عنها لأنها أحوال وجدانية،وماكان كذلك يصعب نقل مضمونه في صورة لفظته دقيقة.

3) وهي بعد ذلك أحوال **سريعة للزوال:** أي لا تستمر مع الصوفي لمدة طويلة،ولكن أثرها ثابت في ذاكرة صاحبها على وجه ما.

أما الأحوال: فهي **الخاطر القوي:**والذي توقظه فينا مطالب الأعقاب التي هي آخر إلتجاء لدين الإنسانية.

---

*- وليم جيمس:ولدفي(1842،ت1910) فيلسوف أمريكي ومن رواد علم النفس الحديث .كتب كتباً مؤثرة في علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي وعلم النفس الديني والتصوف،والفلسفة البراغماتية .وكان شقيق الروائي المعروف هنري جيمس وأليس جيمس كاتب اليوميات. وقد ولد في مدينة نيويورك وهو فيلسوف الحرية له العديد من المؤلفات منها: الإرادة، الاعتقاد، مبادئ علم النفس، البراغماتية.

لكن عندما نؤمن بوجود الله ونعتقد بأنه آخر الطالبين فإن المشهد اللافاني يفتح أمام أعيننا[1].

فيجعل"جيمس" الإيمان بالله والإلتجاء إليه وعيش الحياة الخشنة هي سبيل النجاة والنجاح لأنه في النهاية ينتصر الديني على اللاديني: وأنه حتى يستخرج الإنسان ما في الحياة من اللذات:عليه أن يعيش حياة الخشونة،ومن كانت لديهم القدرة على التغلب على الشرور يكونون دائما هم الفائزون وكان الدين دائما هو الغالب.

والإنسان الديني:

عندما يلجأ إلى ناحية خراقة نافذة ومتحدية:سيكون لديه سليل ورنين،يستيقظ بسبه **الخاطر القوي**...وفي سبيل ذلك الصراع المستمر بين مذهب المطهرين وبين مزاج عدم المبالاة نشاهد ذلك الصراع بين **الخواطر القوية** والأخرى اللينة[2]،ودائما ما تفوز الخواطر القوية.

يتكلم"**جيمس**" عن الصراع بين الدينيين واللادينيين،والدينيين يسميهم:المطهرين نسبة لطهارة أنفسهم والذين تكون لهم **خواطر قوية** دائما ما ينتصرون،أما اللادينيين:فهم غير المبالين ودائما ما يخسرون لأنه لديهم **خواطر لينة**،لأننا لو قابلنا سنجد الفرق بينهما:

فالتقابل بين الأخلاق الامحدودة: والإلزام الغامض القادم من قبل سلطة عليا،وبين الأخلاق الناشئة بين فطنة الإنسان وذكائه والتي يقصد بها إشباع الفاني من حاجياته وأغراضه.

القدرة على **الخواطر القوية**:مغروسة في مكان عميق في الطبيعة الإنسانية بحيث أنه إذا لم يكن هناك أسباب ميتافيزيقية أوعادات مألوفة تؤدي إلى الإعتقاد **في جود الله** فإن الإنسان يفترض وجوده

1- وليم جيمس،إرادة الإعتقاد،ترجمة:محمود حب الله،الجمعية الفلسفية المصرية،سنة:1946،ص106،105

2- وليم جيمس،المرجع السابق ،ص106

كعذر له على الأقل[1]،لأن هذا الاعتقاد يقوي النفس،ويجعلها حصينة في مقابل المادة،عكس اللامبالاة والفوضى والتي أصحابها دائما يعانون ويعيشون حياة من دون اعتقاد،لذا كانت القوة الخارجية والتي تلهمه هذه الخواطر وتبعثها فيه فكانت الخاصية اللأخيرة.

4- **رابعا وأخيرا:**

هذه الخواطر:هي أحوال سالبة،من حيث أن الإنسان لا يحدثها بإرادته،إذا هو في تجربته الصوفية يبدوا كما لو كان خاضعا لقوة خارجية عليا تسيطر عليه.

فمن خلال:رؤية عالم النفس الأمريكي "**وليم جيمس** "فمعالجته لخصائص التصوف كانت معالجة نفسانية، وأهمل الجوانب الأخرى.

قد جعل الخاصية الأول للتصوف:

عبارة عن كشف وإلهامات،فقط دون المعرفة البرهانية التي يعتمد عليها الفلاسفة فهناك من المتصوفة من كان فيلسوفا،وكان يدافع عن تصوفه بأدلة برهانيه مثل:موضوعنا **الغزالي** – رحمه الله – **والكشف** يقع عن طريق السلوك ولكن لا يعتمد عليه المريد أو السالك كليا كما يصور ذلك "وليم جيمس".

ومعلوم أن **الجنيد** –رحمه الله–:نهى أتباعه من أن يتكلوا على الكشف والإلهامات ويتركوا العمل والاجتهادات".

وأما الخاصية الثانية:

فيقول بأنها عبارة عن أحوال وجدانية يصعب نقلها في صورة لفظية دقيقة،وهو بذلك:يعبر عن بعض الشطحات الصوفية :كما كان للحلاج والبسطامي، وهو ليس على العموم.

1- وليم جيمس،إرادة الإعتقاد،المرجع السابق،ص106

هذا بالنسبة **للأحوال:**أما **المقامات** الى يرتقي فيها السالك فليست سريعة الزوال،فإن السالك لا يترقى لأعلاها حتى يثبت فيها.

ويصفها في الخاصة الرابعة:بأنها سالبة لأن الإنسان لا يحدثها بإرادته،وإنما هو خاضع لإرادة خارجية".

هذا بالنسبة للمراد كما تكلم عن ذلك الكالاباذي.

أما المريد فأحواله في الاجتهادات والعمل وليست سالبة.

ب)**إن باحث آخر وهو بيوك*** **:(M.BUKE)**:

يحدد سبع خصائص لأحوال التصوف وهي:

1)النور الباطني الذاتي.

2)السمو الأخلاقي.

3)الإشراق العقلي.

4)الشعور بالخلود .

5)فقدان الخوف من الموت.

6)فقدان الشعور بالدين .

7) المفاجأة.

*- باحث ومفكر أمريكي .

"بيوك":نفس الشيء يركز فقط على الاستبطان والإشراق العقلي:"أي على الفلسفة الاشراقية"،التي تكلم عنها الإشراقيون:كالسهروري وغيرهم.

وكذلك الكشف الباطني:أي الإلهام الذي قال به الغزالي– رحمه الله–.

ج–**كما أن الفيلسوف:"برتراندراسل*":**

اهتم بالبحث في التصوف من خلال بحث بعنوان:"**التصوف والمنطق**" يتكلم فيه عن التصوف،وأن هناك فلاسفة جمعوا بين النزعتين أو محاولة:التوفيق بينهما فقد سموا فكريا،وجعل من أصحاب هذا الجمع فلاسفة "بالمعنى الصحيح" [1].

ويذكر:أن أعظم الرجال الذين كانوا فلاسفة شعروا بالحاجة إلى كل من العلم والتصوف[2].إذ العاطفة الصوفية هي الملهم:لأعظم ما يكون للإنسان،ويضرب:"راسل ":

أمثلة لهؤلاء الفلاسفة " هرقليطس، وأفلاطون، وبارمنيدس ".

وقد انتهى"**راسل**": إلى أن هناك أربع خصائص تميز التصوف عن غيره من الفلسفات في كل العصور وفي كل أنحاء العالم وهي:

1)**الإعتقاد في الكشف أو البصيرة:**

منهجا في المعرفة مقابلا للمعرفة التحليلية الاستدلالية،وبأن هذه الرؤية الداخلية تعاكس المعرفة المنطقية التحليلية.

---

*- فيلسوف وعالم منطق رياضي وناقد اجتماعي بريطاني من مواليد(1872،توفي:1970)،يعد مؤسس الفلسفة التحليلية ومن علماء المنطق وحائز على جائزة نوبل لمثله الإنسانية ودعوته لتحرير الفكر.

1- التفتازاني أبو الوفا،مدخل للتصوف الإسلامي،مرجع سابق "من:ص26،بتصرف.

وبالتالي:فقدْ فقدَ مُعظم من عاش هذه التجربة الاتصال بالحياة العادية ومن ثم بدت الروح في عزلتها التامة،ويرى بأن هناك جانب سلبي للتعاليم الصوفية هو الاستغراق في الانفعال الداخلي وهو ما يسمى بالوحي،أو الرؤية الداخلية،و الحدس وعدم الاعتماد على العالم الخارجي الذي يقوم على الحواس والعقل، وهذا الاعتقاد بوجود واقع وراء العالم الظاهري غالبا ما يكون في درجة العبادة،وتغطيه الخيالات بضعف ويضرب مثلا:بالشاعر والفنان والذين يبحثون عن المجد في الجمالية الموجودة في مخيلتهم، وأما المتصوفة فهم يعيشون نورها الكامل.

2)**الاعتقاد في الوحدة الوجودية:**

ورفض التضاد والقسمة أيا كانت صورهما[1]،والإيمان بوحدة جميع الأشياء وأن الكون هو كلية واحدة لا تتجزأ وما يظهر وكأنه أجزاء فإنما يتعامل معه باعتباره جوهرا واحدا وان أكثر الصوفية لا يستخدم المنطق بل يسعى مباشرة للكشف عن رؤيته الداخلية.

3)**إنكار حقيقة الزمان:**

وواقعيته لأنه سيصبح تمييز الماضي عن المستقبل شيئا وهميا،وأن عالم الحواس عالم وهمي وعامل الزمن لا يشكل سوى خاصية ثانوية وسطحية للواقع،ولذلك فالمتصوف يرى بأنه ينبغي عليه التحرر من عبودية الزمن.

فالاشتغال أو الاهتمام بالزمن يصرف المتصوف عن انشغاله بعالم الملكوت فالزمن غاية وجدت لأجل العبادة فعبادة الزمن تصرف المتصوف عن ما يصبوا إليه لهذا جعل "راسل"إحدى خصائص التصوف إنكار الزمن.

1- التفتازاني أبو الوفا،مدخل للتصوف الإسلامي،مرجع سابق،ص16.

4)**الاعتقاد أن الشر محض شيء ظاهري،ووهم مترتب على القسمة والتضاد**[1]:

الذين يحكم بهما العقل التحليلي،فالمتصوفة تقول بأن أشياء كالقسوة مثلا صالحة لكنها ترفض التسليم بأنها واقعية وبأنها تنتمي إلى عالم الأشباح السفلي الذي ينبغي تحريرها منه بفضل الرؤية الداخلية،فالشر شيء وهمي وأن كل واقع يعتبر خير وأما الشرور فهي أوهام في عقولنا.

فما يميز التصوف عند"**راسل**":هو غياب الاحتجاج فيه والاستدلال،كما أنه يقوم على الرؤية الداخلية والحدس،والكشف: وهذا هو المنهج الصحيح للمعرفة وهو مشترك بين جميع الصوفية وعدم التسليم للانقسام بين المتناقضين الخير والشر والذي هو حصيلة التجربة الصوفية:والذي انتهى إلى الإحساس بالسلام فولد ما يسمى بالأحاسيس في الأحلام وهو ما كون نظاما مترابطا فشكل ما يسمى بجسد العقيدة الصوفية.

فالكشف إذن كما يرى "**راسل**":

هو المنهج الصحيح للمعرفة وهو مشترك بين جميع المتصوفة في كل الأزمان والأوقات وهذا ما صرف اهتمامهم بالحياة العادية إلى الحياة الروحية والغيبية،وكذلك اهتمامهم بالحدس والاستبطان الداخلي على حساب الحسوسات والمعقولات.

1- التفتازاني أبو الوفا،مدخل للتصوف الإسلامي،مرجع سابق "من:ص26،بتصرف

المبحث الثاني:

آراء المخالفين والمنتقدين للإمام الغزالي:

أ-ابن الطفيل*:

الذي يقول عن **الغزالي**:أنه متناقض(وأما كتب الشيخ أبى حامد،فهو بحسب مخاطبته للجمهور يربط في موضع،ويحل في آخر،ويكفر بأشياء ويحللها،ومن جملة ما كفر به الفلاسفة في كتابه التهافت:إنكارهم لحشر الأجساد،وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة،ثم قال في أول كتاب الميزان:إن هذا الاعتقاد اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع،وهو في:"**المنقذ**" آخذ بمذهبهم[1]).

يتهم ابن الطفيل الشيخ الغزالي بأنه يحرم ويكفر أشياء من قبيل تكفيره للفلاسفة،وهو يقول عن الصوفية بأنهم أصحاب هذا المذهب.

وقد قسم الآراء لثلاثة أقسام:

1- رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم فيه.

2- رأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد.

3- رأي يكون بين الإنسان وبين نفسه،لا يطلع علبه إلا من هو شريكه.

ويستدل بقوله:من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والحيرة.

---

*- هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل من عرب بني قيس عيلان(و1100م،ت1185).أندلسي،كان من وزراء الدولة الموحدية توفي في:غرناطة ودفن في مراكش وله آثار خالدة في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك.

1- سليمان دنيا،الحقيقة في نظر الغزالي،دار المعارف،مصر،طبعة:سنة1965،ص76،77

ويصف ابن الطفيل:تعليم الغزالي إنما هو رمز وإشارة،لا ينتفع به إلا من وقف عليها ببصيرة نفسه أولا،ثم سمعها منه ثانية،ومن كان معدا لفهمها فائق الفطرة فهو يكتفي بأيسر إشارة.

ويذكر أنه أخبر بأن له كتابا:"**المضنون به على غير أهله**"،وأنه ضمنها صريح الحق،ومنها:المعارف العقلية،النفخ والتسوية،ومسائل مجموعة،وفيها إشارات لا تتضمن عظيم زيادة في الكشف على ما هو مبثوث في كتبه المشهورة.

فابن الطفيل يرى في الغزالي:أنه متناقض،يقول بالرأي،ويقول بنقيضه،ثم يستمسك بالرأيين معا.

يرد **سليمان دنيا**[1]:على **ابن الطفيل** بأن **الغزالي** لما يطلق كلمة الصوفية فهو يطلقها أحيانا ويريد بها جماعة ضالين مضلين،وليس مقصودها واحد عنده،بدليل أنه لما يثني على الصوفية في:"**المنقذ**"،ويرفعهم لدرجة عالية،إذ به يعقد في كتابه:"الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين"للصوفية خاصة ينقدهم فيه ويذكر مثالب وعيوب وقد ذكر منهم تسع فرق وذمهم جميعا وأطال في القول من الكتاب ص112حتى136.

إذن فلا بد أن الصوفية في كتابه:"المنقذ" غير الصوفية في:كتابه"الكشف"[2].

1- أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر،بمصر.

2- سليمان دنيا،الرجع السابق،ص،79

ب- الحافظ تقي الدين ابن الصلاح*:

بسبب إدخاله (المنطق) في علم (أصول الفقه) وقوله في أول(المستصفى):هذه مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة بعلومه أصلا،فقد اعترض ابن الصلاح على الغزالي في ذلك بان الصحابة وسلف الأمة لم يعرفوا المنطق،وعنهم اخذ علم الدين،لكنه رغم ذلك يمدحه ويرى:أن الحقيقة عند الغزالي هي الطرف الموافق لمبادئ أهل السنة،والمعادي لآراء الفلاسفة،أما الطرف المعادي لمبادئ السنة،الموافق لمبادئ الفلاسفة،فليس من الغزالي في قليل ولا كثير،وليس له من الحقيقة نصيب عند الغزالي[1].

فأمر بديهي أن يُنتقد الغزالي كما يرى ابن الصلاح لأنه كان مدافعا عن السنة في مقابل أصحاب الأهواء والفلاسفة لذا أصبح أي كتاب ينسب للغزالي من دون التأكد من صحته،وذلك لضرب مصداقيته،فكل ما يخالف النهج الذي اتبعه الغزالي في محاربة الفلاسفة والباطنية،فهو ليس من كتب الغزالي،لأن نهجه في محاربة أفكارهم واضحة من خلال كتبه الثابتة والمنسوبة إليه[2].

ج-ابن الجوزي**(ت597هـ) : :

وممن انتقد الغزالي بقوة:الحافظ النقاد المؤرخ الفقيه أبو الفرج ابن الجوزي:وذلك في مواضيع عدة من كتابه النقدي:(تلبيس إبليس).

---

*- أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ ابْنُ المُفْتِي صَلاَحِ الدِّيْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُثْمَانَ بنِ مُوْسَى الكردى، الشَّهْرُزُوْرِيُّ ، المَوْصِلِيُّ المعروف بـابن الصلاح أحد علماء الحديث تفقه على والده ، ثم اشتغل بالموصل مدة ثم درس بالمدرسة الصلاحية،ببيت المقدس مدة من الزمن، فلما أمر بهدم سور المدينة، نزح إلى دمشق، فدرس بالرواحية مدة عندما أنشأها الواقف، فلما أنشئت الدار الأشرفية صار شيخها، ثم ولي تدريس الشامية الصغرى.

1- سليمان دنيا،الحقيقة في نظر الغزالي،مرجع سابق،ص80.
2- المرجع نفسه،ص80،بتصرف

*- هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد، حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ،(و510،ت597)ببغداد،مؤرخ ومحدث حنبلي،برز في كثير من الفنون،ينتمي نسبه:لأبوا بكر الصديق،عرف:بابن الجوزي:نسبة لشجرة جوز كانت ببيته.

وذكر أنه ألف كتابا خاصا جمع فيه مأخذه على الإحياء سماه (إعلام الأحياء، بأغلاط الإحياء).

-ومأخذه الأساسي على الإحياء:

أن **الغزالي**:وضعه على مذهب الصوفية،وترك فيه قانون الفقه،وعلل ذلك بأنه صحب الصوفية،فرأى حالتهم ،ونظر في كتبهم،وكلام القدماء منهم فاجتذبه ذلك وترك ما يوجبه الفقه.

وفي: **التلبيس**:يعجب **ابن الجوزي**: كيف تصدر هذه الأحاديث والأقوال من فقيه،ومن غيره من الصوفية ويشنع عليهم بعد أن يذكرهم ويذكر أقوالهم،كالقشيري،وأبو نصر السراج،وأبو عبد الرحمان السلمي وغيرهم.

كما يذكر عن الحارث **المحاسبي** تكلمه عن الجوع والفقر والوساوس والخطرات وتصنيفه للكتب في ذلك،ثم يقول:بأنه قد جاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة،والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة ،ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا،ويتكلمون بواقعاتهم،ويتفق بعدهم عن العلماء،أو العلوم حتى سموه العلم الباطن،وجعلوا علم الشريعة علم الظاهر[1].

إذا كان تجاوز الصوفية ومن بينهم **الغزالي**: في الطهارة والعبادات،والتقشف،والزهد هو مما ينكر عليهم ابن الجوزي فقد بالغ في في ذلك لأن الشرع جاء محببا في الطهارة والنظافة ومدح النبي-صلى الله عليه وسلم-أهل المدينة لمبالغتهم في الطهارة.

1- ابن الجوزي،تلبيس ابليس،حققه:محفوظ بن ضيف الله شيحاني،دار الإمام مالك،ط1،سنة:2007م،ص191،190

أما فيما يخص **المكاشفة**:فهو **يتكلم عن** أبو طالب المكي:وعن كتابه(قوت القلوب)أنه يذكر في كتابه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي،وذكر فيه الإعتقاد الفاسد وردد فيه:قول بعض"**المكاشفين**"،ثم يقول بأن هذا كلام فارغ[1].

فهو يجعل المكاشفة وأقوال بعض المكاشفين عبارة عن كلام لا فائدة منه وأنه عبارة عن قصص لاغير ولا تثبت فهو قد أخذ موقفا من الصوفية من البداية وبالتالي كل ما يصدر عنهم يجعله فارغا وغير مفيد.

وفيما يخص نقده **للغزالي** يقول:والحارث أعذر عندي من أبي حامد:لأنه كان أفقه.

وأن الغزالي:قد ذكر في:(**الإحياء**) الأحاديث الباطلة،وهو لا يعلم بطلانها،وتكلم عن **المكاشفة**...ويقول: الغزالي: إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم–عليه السلام–أنوار وحجب الله،ولم يرد هذه المعروفات ويتهمه:بأنه من جنس كلام الباطنية،وأنه يقول:"**في كتابه المفصح بالأحوال**":يعني به:**كتاب**:"**الإحياء**"إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة،وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا،ويقتبسون منهم فوائد،ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق[2].

كان يكون كلام ابن الجوزي ومهاجمته العنيفة على الغزالي مقبولا لولا أن الله جعل القبول وهذا الانتشار ذائع الصيت **للغزالي**،ولكتبه،وهذه الشهرة لهي أكبر دليل ورد على ابن الجوزي في اتهامه للصوفية وخصوصا:**الغزالي**،وفيما يخص اتهام كلامه بأنه من جنس كلام الباطنية فمعروف أن الغزالي كان أكبر المهاجمين لكلام الباطنية وقد ألف في ذلك كتابه:"**الرد على الباطنية**" فكيف يعزوا ابن الجوزي هذا الكلام للغزالي لولا أنه يريد أن يشنع عليه ويتهمه لا غير وكأنه أخذ عنه موقفا من قبل ذلك.

1- ابن الجوزي،تلبيس ابليس،مصدر سبق ذكره،ص191
2- المصدر نفسه،ص193

د-ابن تيمية*:

يعتقد ابن تيمية:أنه ما كان من الخوارق من باب العلم فتارة :بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره،وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومناما، وتارة بأن يعلم مالا يعلمه غيره وحيا وإلهاما،أو أنزال علم ضروري،أو فراسة:صادقة،ويسمى كشفا ومشاهدات ،ومكاشفات ومخاطبات ".

-ثم يقسم ابن يتيمة أنواع هذه المكاشفات:

فيقول :

-أن السماع :مخاطبات .

- والرؤية:مشاهدات .

- والعلم:مكاشفات .

فهو يجعل المكاشفة:متعلقة بالعلم :أي أن الإنسان إذا كشف له ما كان يجهله،فوقع له من باب العلم الذي يقع للإنسان دون غيره فهي:"**المكاشفة**"، ثم تأتي الرؤية:وهي **المشاهدة**، وما كان سماعا:فهو مخاطبات،وهنا نجد الفرق والاختلاف بينه وبين الغزالي -رحمه الله-لأن الغزالي:يجعله علما ثانيا،ويجعل كل ما يقع على القلب من نور يقذف أو سماع:مخاطبات،أو رؤية:مشاهدات هي:"المكاشفة" أي ينير الله بها ويكشف لعباده الصالحين.

ثم يعود فيقول بأن:ما كان من باب القدرة فهو التأثير وقد يكون همة وصدقا ودعوة مجابة،وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال مثل هلاك عدوه بغير أثر فيه كقوله:-صلى الله عليه وسلم- في

*- ولد سنة 661 م،بحران بدمشق وتوفي سنة 728م،من أهم مؤلفاته " تعارض العقل والنقل "،"والجواب الصحيح في الرد على النصارى "،" إثبات المعاد"،والرد على ابن سينا"،"واثبات الصفات"،"والرد على الإمامية ".

الحديث القدسي:((**من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة**)).ومثل:تذليل النفوس له ومحبتها إياه ونحو ذلك،وكذالك ما كان من باب العلم والكشف،وقد يكشف لغيره من حاله بعض الأمور،ثم يستشهد بأقوال الرسول: –صلى الله عليه وسلم–:فيقول:– كما قال:الرسول–صلى الله عليه وسلم–:((**في المبشرات:هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له**[1])).وأيضا بقوله–صلى الله عليه وسلم–:(**أنتم شهداء الله في الأرض**[2]).

– ويذكر أنه جمع لنبينا–صلى الله عليه سلم–:جميع أنواع المعجزات والخوارق،أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية،فمثل إخبار نبينا–صلى الله عليه وسلم–:عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ومخاطباته لهم وأحواله معهم،وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار،بما يوافق الأنبياء قبله،من غير تعلم منهم، وإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها،وهو من باب العلم الخارق، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلية مثل:مملكة أمته،وزوال مملكة فارس،والروم وقتال الترك وغيره من ألوف مؤلفة من الإخبار التي أخبر بها.[3]

يقول :"**زكي مبارك***:يعد ابن تيمية من خصوم الغزالي لأنه كتب فصولا كثيرة في تناقضه وتسفيه بعض آرائه،ومن أعجب ما رأيت له،حكمه بان الغزالي هجر طريق الصوفية في أخريات أيامه،وفي ذلك يقول: ولهذا تبين له في أخر عمره إن طريق الصوفية،لاتحصل مقصوده فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية، وأخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في أثناء ذلك على أحسن أحواله،وكان كارها ما وقع في كتبه من نحو هذه الأمور مما أنكره الناس عليه.

1- رواه البخاري،تحت رقم(6990).
2- رواه البخاري،رقم(1367)،ومسلم(949).
3- أبوعمر محمد بن عبد الملك الزغبي،كرامات الأولياء،ط1(2013)،دار الغد الجديد،القاهرة،ص45،44.
* - دكتور الأدب،الجامعة المصرية.

ثم يقول بأنه:لا يستبعد كلام ابن تيمية لأن الغزالي كان متقلبا في آرائه،لا يستقر على حال فهو تارة فقيه، وتارة صوفي،وتارة فيلسوف [1] .

فابن تيمية تميز عن الغزالي بتبحره في علم الحديث وفقه رواية ودارية،حتى قيل:كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث:فجمع بين المنقول والمعقول، وبين آثار السلف وعلوم الخلف،مع يقين لا يتزعزع بوجوب (الإتباع)الصارم،لما كان عليه الصحابة ومن تبعهم من خير القرون.

ثم يذكر بعد ذلك أهم الانتقادات:فيقول:

<u>-وأهم ما انتقد عليه ابن تيمية كتابه "الإحياء " وخاصة:</u>

في(**الفتاوى الكبرى**) يتحدث:عن (**الإحياء**) وأن فيه فوائد كثيرة،لكن فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد،والخطر في خلطها بمعارف الصوفية،فتكون بمنزلة من اخذ عدوا للمسلمين، فالبسه ثياب المسلمين وقد أنكر أئمة المسلمين على أبي حامد الغزالي هذا في كتبه وقالوا:أمرضه (الشفاء) يعنون"شفاء":ابن سينا في الفلسفة وفيه أحاديث وآثار ضعيفة،بل وموضوعة كثيرة.

وفيه أشياء من أغاليط بعض الصوفية.

كما أن ابن تيمية لا ينسى فضل وأهمية كتاب:"**الإحياء** ":

فيقول: بأن فيه:من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب،الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب – مما هو موافق للكتاب والسنة – ما هو أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيــه كثيرا.

1-زكي مبارك،الأخلاق عند الغزالي،دار الجيل،بيروت،ط1988،1، ص328 .

كما رد عليه في (الفتاوى) في قوله:إن تعلم المنطق فرض كفاية،واعتبر هذا غلطا عظيما عقلا وشرعا وذكر أن بعض المنطق حق، وبعضه باطل، وأن أكثر ما فيه من حق لا يحتاج إليه، والقدر الذي يحتاج إليه منه تستقل الفطر السليمة، وأكد انه علم لا ينفع به البليد، ولا يحتاج إليه الذكي، وفصل ذلك في رده على المنطقيين .

فمعلوم أن الفقهاء والمحدثين هم الذين انتقدوا الشيخ أبي حامد الغزالي وذلك لضعفه في علم الحديث كما توضح وخصوصا في كتابه " الإحياء " وقد بني عليه منهاجه في التصوف وفي المكاشفة ومنهم.

هـ-ابن رشد*:

إن خصومة ابن رشد للغزالي تكاد تكون فلسفية بحتة فقد وضع الغزالي كتابا سماه:"تهافت الفلاسفة" والغرض من الكتاب ظاهر من عنوانه فعارضه ابن رشد بكتاب سماه:" تهافت التهافت"،رد فيه على الغزالي ويقصد بذلك تناقض الأفكار التي يعتقد الغزالي أنه هدم بها آراء الفلاسفة وقام بالرد على المسائل التي أثارها وخصوصا مسائل:قدم العالم،ومسألة السببية،ومسألة روحانية النفس،[1] والذي يهم من معارضه ابن رشد للغزالي إنها دفاعه عن ابن سينا والفارابي،فقد كان الغـزالي يراهم من الكفار.[2]

ويتلخص دفاع ابن رشد في مسالة قدم العالم وحدوثه ..

وفي وصف الله بصفات معينة محدودة وفي تعيين مصير العالم بشكل خاص.[3]

*- ولد بقرطبة سنة (520 هـ /1126 م توفي 595 هـ/1126م)،كان قاضيا،فقيها،وفيلسوفا مشهوراً:"بالشارح الكبير".

1- مرحبا عبدالرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،مرجع سابق،ص751

2- زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي،دار الجيل،بيروت،ط1988،1،ص326.

3- المرجع نفسه، ص، 327

وأهم الانتقادات الموجهة الإمام الغزالي هي الأحاديث الضعيفة،التي يستدل بها في إثبات وجهته وخاصة ما هو مذكور في كتابه " الإحياء".

وابن رشد:في كتابه:التهافت"ينظر إلى الغزالي نظرة رجل فقيه يعتمد الأدلة الجدلية لا البرهانية،ويهاجمه مهاجمة عنيفة ويرميه بضعف الحجة ووهن البرهان،ويتهمه بأنه يغير ويبدل في أقوال الفلاسفة ويأخذ ما يوافقه منها ويدع ما لا يوافقه ويصفه بالخبث والسفسطة،ومن ثم يخرجه من حظيرة الفلسفة والفلاسفة..وأسلوب ابن رشد في مناقشته للغزالي مثال للأسلوب العلمي الرصين الذي يتميز بالجفاف والدقة والعمق..فالغزالي شاعر عاطفي قلق يود أن يستولي على لب القارئ.[1]

من الملاحظ أن خصومة **ابن رشد والغزالي** تقتصر على المسائل الفلسفية،وخلاصة القول:أن أسلوب ابن رشد:يكاد يبلغ القمة في الكمال لولا أنه يشوبه أحيانا قليلة ما يشوب أسلوب الغزالي من الميل إلى تسفيه آراء الخصم وتحقيره والتشهير به وهي صفات ليست من العلم في شيء ومع ذلك فقد استجاز ابن رشد الاتصاف بها عندما حكم على الغزالي بأنه:"جاهل"مما لا يليق برجل من معدن ابن رشد أن يتفوه به[2].

1- مرحبا عبدالرحمان،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،مرجع سابق،ص728.

2- المرجع نفسه،ص729

الخـــــــــــاتمـــــــــة

الخاتمة:

يعد مصطلح المكاشفة من المصطلحات ذات الطابع الغيبي والروحاني لهذا فلا يلج إليها إلا من كان سلاحه الذوق والعرفان، وقد رأينا بعض المصطلحات المشابهة له وأهم الفروق بينهم، ولكن هذا المصطلح له بعد روحي متعلق بالنفس وعلاقتها بخالقها في حالة صفائها وطهارتها لذا لا يصبر أغوارها سوى من كان سلاحه المجاهدة والتقوى، وقد رأينا في تعاريف الصوفية بأنها مقام من مقامات السالك وقد اعتبروها حقاً لليقين فليس بعدها إلا عين اليقين وهي الفناء والمشاهدة.

ولفلاسفة المسلمين كلام في الفيض والإشراق الذي يعد عرفان يجده السالك وتفيض عليه المكاشفات بمختلف المعارف.

أما شيخنا الجليل الإمام الغزالي فلقد وصل لمرتبة المكاشفة بعد مسيرة من التصوف وأقام عليها منهج حياته كما نَظَر لها على أساس أنها:منهج قائم بذاته وأداة من أدوات المعرفة بالله،بعد أن جرب الأدوات الحسية والعقلية ووجد أنها غير صادقة وتكذب وتخطئ الإنسان في معظم ما يراه،عكس المكاشفة الذي يعتبر **الغزالي**:"أنها لم تكن بنظم دليل و ترتيب كلام،**بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر،و ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف،فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة**".

ولقد ترك لنا الغزالي أثرا خالدا يذكر به إذا ذكر:وهو"**الإحياء**" ورغم ماقيل فيه وما أثآره من ردود عبر العصور وحتى يومنا هذا لدليل قاطع على سعة الرجل وتفوقه فإن النقد لا يكون إلا للعظماء،وقد قيل:

إذا أتتك مذمتي من ناقص***فاعلم أني للصفات كامل

والغزالي–رحمه الله–يرسم لسالك الطريق إلى الله من حيث بدايته وحتى نهايته،ويقسم له الطريق لقسمين:

1– قسم:علم معاملة،2–وقسم:علم مكاشفة،ويجعل **المكاشفة** وكأنها علما قائما بذاته يشرحه ويقيم عليه الأدلة من القرآن والسنة ويضرب عليه الأمثال لتقريب الأفهام وهذا دَيدنُهُ في معظم كتبه وخاصة **الإحياء**،الذي قسمه إلى أربعة أقسام:(قسم العبادات،قسم العادات،قسم المنجيات،وقسم المهلكات) ويرسم في قسم المنجيات:مقامات السالكين وأدواتهم للوصول إلى المعرفة الحقة بالله،وهذا القسم قد توسع فيه:

في كتابه الآخر:"**مكاشفة القلوب**"والذي يدل من عنوانه على أن المكاشفة غاية له،وأن مصدرها: "**القلوب**" والتي هي مصدر من مصادر المعرفة التي لا يخطأ الواصلون إليها عكس المعارف الحسية أو العقلية والتي ثبت بأنها غير صادقة في معظم الأحيان.

والشيء المذهل في **الغزلي**–رحمه الله–:أنه لم يترك التأويلات حول طَريقهِ للتصوف وسيرته نحو **المكاشفة** منذ صغره وحتى وصل إلى ما وصل إليه في وقته،وقد ترك لنا"**المنقذ من الضلال**"الذي يروي فيه سيرته وحياته من دون أن يدع لنا العناء في التفكير في ذلك.

وأروع من ذلك أن ما قام به الغزالي في علم:**التصوف**،و**الذوق** الجديد الذي أتى به أنه إذا ذكر: "**التصوف**"ذكر:"**الغزالي**" وإذا ذكر:"**الغزالي**" ذكرت:"**المكاشفة**".

وفيما يخص الفلسفة فإنه لا توجد شخصية أثارت ما أثارته شخصية الغزالي وردت على الفلاسفة ونقدت الفلسفة في المشرق العربي بل وحتى في العالم كله وإلى يومنا هذا ما فعله:كتابه" **تهافت الفلاسفة**" ولم يحدث في تاريخ المساجلات العالمية مثلما حدث بين: "**الغزالي، وابن رشد**":"بكتابيهما":تهافت الفلاسفة"، وتهافت التهافت"، وما آثاره من ضجة حتى وقتنا الحالي.

والذي نخلص منه في دراستنا هذه أنه يجب علينا الرجوع لأصولنا وأن ننهل من مصادر تاريخنا العذب والذي فيه ما نحتاجه لمسيرتنا نحو الأمام وخصوصا بالاهتمام بمشايخنا وعلمائنا وعلى رأسهم: "**الغزالي**" وكيف قاموا بتربية النشئ والاهتمام به مثل رسالة:"**أيها الولد**" للغزالي، واهتمامهم بالأمور الروحية التي وازن الإسلام بينها وبين المادة فلم يُغفل الروح على حساب الجسد كما لم يُهمل الجسد دون الروح، وعلينا إذا أردنا التقدم والرقي أن نُعيد قراءة تراثنا قراءة جيدة وجديدة بعيدة عن التعصب أو المذهبية أو الطائفية وأن نعرف كيف نقرأه وكيف ننتفع به كما فعل غيرنا فتقدموا بسبب ذلك أما نحن فقد بقينا نعيش في الأوهام والأحلام من دون أن نحرك ساكنين، وبقينا نطعن في مقدساتنا ونتهم بعضنا بعضا وقد تركنا آداب الإسلام وأخلاقه من وراء أظهرنا والله يخاطبنا بأننا كنا خير أمة أخرجت للناس،فتركنا الخيرية التي أخرجنا الله بها واتكلنا على غيرنا بعدما كنا نقُود غيرنا فأصبحنا نُقَاد، فهل نرجع لتراثنا وتراث أجدادنا كما فعل غيرنا ونصلح ما يحتاج أن يصلح،ونقتفي آثار من قد صلح.

ولا أخفيكم سراً أني قد انتفعت من هذه الدراسة بعدما اطلعت جيداً على سير علمائنا في أحوالهم ومقاماتهم وخصوصاً الإمام **الغزالي** وكل ذلك لم يكن لِيَتأتَى لولا هذا البحث وفي الأخير أرجوا من المولى العلي القدير أن يجعل هذا العمل متقبلاً لوجهه الكريم فإنه ولي ذلك القادر عليه،**وهو ولي التوفيق**.

قائمـــــة المصـــــادر والمراجـــــع

قائمة المصادر والمراجع:

*- القرآن الكريم.

أ/المصادر:

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن الأسفار،لابن الحسين العراقي،تحقيق سيد عمران،دار الحديث القاهرة،طبعة سنة:2004 م.

2- الغزالي أبو حامد،المنقذ من الضلال،نشر موقع الفلسفة الإسلامية،اعتنى به: محمد إسماعيل حُزيِّن- و- شذا رائق عبد الله.

3- الغزالي أبو حامد،مكاشفة القلوب المقرب لحضرة علام الغيوب،تحقيق،عادل بن سعيد بن محمد بن مطاوع،دار الغد،القاهرة2014،ط1.

4- الغزالي أبو حامد،مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار،تحقيق:عبد العزيز عز الدين،عالم الكتب،ط1،سنة 1986.

ب/المراجع:

5- الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1988.

6- الطوسي سراج الدين ،اللمع في التصوف.تحقيق،دكتور عبد الحليم محمود،وطه عبد الباقي سرور،دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ،ببغداد.

7- الكالاباذي محمد أبو بكر،التعرف لمذهب أهل التصوف،نشرموقع:www.al-mostafa.com

8- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، موقع:مكتبة المصطفى الإلكترونية.-www.al-mostafa.com.

9- ابن الجوزي،تلبيس ابليس،حققه:محفوظ بن ضيف الله شيحاني،دار الإمام مالك،ط1،سنة:2007م-

10- إبن القيم الجوزية، مدارج السالكين،تحقيق د.عاطف شاهين،دار الغد الجديد،ط1،سنة2014.

11- عبد الحليم محمود،التفكير الفلسفي في الإسلام،دار الكتاب اللبناني،ط1،سنة1974.

12- زياد بن عبد الله الحمام،العلاقة بين الصوفية والإمامية،ط1،سنة1432هـ.

13- التفتازاني أبو الوفا، مدخل إلى الصوف الإسلامي،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،ط3.

14- العيسوي عبد الرحمان،علم النفس عند علماء الإسلام،دار الراتب الجامعية،بيروت لبنان،ط1،سنة:2004م

15- محمد السيد الجليند،قضية الألوهية بين الدين والفلسفة،كلية دار العلوم،جامعة:القاهرة.نشر:المكتبة الأزهرية للتراث،الجزيرة للنشر والتوزيع،2008.

16- القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن،تخريج،أحمد بن شعبان ومحمد بن عبد الحليم،مكتبة الصفا.

17- الزمخشري أبي القاسم، تفسير الكشاف،اعتنى به خليل مأمون شيخا،ط2،دار المعرفة،بيروت2005.

18- توفيق الطويل.في تراثنا العربي الإسلامي،عالم المعرفة،الكويت،1985.

19- وليم جيمس،إرادة الإعتقاد،ترجمة:محمود حب الله،الجمعية الفلسفية المصرية،سنة:1946.

20- سليمان دنيا،الحقيقة في نظر الغزالي،دار المعارف،مصر،طبعة:سنة1965.

21- أبوعمر محمد بن عبد الملك الزغبي،كرامات الأولياء،ط1(2013)،دار الغد الجديد،القاهرة.

22- الأخلاق عند الغزالي لزكي مبارك،دار الجيل،بيروت،ط الأولى سنة:1988.

23- محمد عبد الرحمان مرحبا،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،منشورات عويدات،بيروت-باريس،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط الثالثة،سنة:1983.

24- محمد أحمد لوح،جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية،دار ابن القيم للنشر والتوزيع،الرياض،الطبعة:2،سنة:2010م.

25- محاضرات الأستاذ حفيان محمد عن التصوف سنة أولى ماستر،2014،2015.

ج-كتب التفاسير:

26- عبد الله حشروف، الإيضاح في علوم القرآن،دار الأمل للطباعة،ط2،سنة 2011.

27- القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن،تخريج،أحمد بن شعبان ومحمد بن عبد الحليم،مكتبة الصفا،ج.11.

28- الزمخشري أبي القاسم،تفسير الكشاف،اعتنى به خليل مأمون شيخا،ط2،دار المعرفة،بيروت2005.

د/المعاجم:

29- الجرجاني،معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة،سنة2004

30- جميل صليبا،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،ط سنة1982.

31- ابن منظور،لسان العرب،دار الفكر،ط1،سنة2008.

32-عبد الرزاق القاشاني، معجم المصطلحات الصوفية:تحقيق،د عبد العال شاهين،ط1،دار المنار القاهرة.

33- ابن خلكان أبو العباس،وفيات الأعيان،تحقيق إحسان عباس،دار صادر بيروت.

هـ/المواقع الإلكترونية:

34- موقع الدرر السنية.لتخريج الأحاديث النبوية،المشرف:علوي بن عبد القادر السقاف،www.dorar.net

35- ويكيبيديا الموسوعة الحرة،www.wikipedia.org

فهـــــرس المواضيـــــــــع

فهرس المواضيع:

الموضوع: **رقم الصفحة:**

مقدمة.....أ

الفصل الأول:(المكاشفة المفهوم،التعاريف،ومصطلحات المتصوفة)

المبحث الأول:

الكشف لغة.....03

الكشف اصطلاحا.....04

البارقة،الخاطر.....04

الوارد،المكاشفة.....05

الوحي.....06

أقسام الوحي اللغوية:.....07

أقسام الوحي الاصطلاحية:.....10

الكرامة.....11

المعجزة.....11

الإرهاص.....12

الاستدراج.....13

الفراسة.....14

الحدس.....15

الإلهام.....16

المبحث الثاني:المكاشفة في اصطلاحات المتصوفة.....19

أ–مفهوم المكاشفة عند سراج الدين الطوسي.....19

ب–مفهوم المكاشفة عند الكالاباذي.....23

ج–مفهوم المكاشفة عند القشيري.....26

د–مفهوم المكاشفة عند عبد الله الأنصاري الهروي.....27

–شرح كلام الهروي من خلال ابن القيم.....28

هـ–مفهوم المكاشفة عند القاشاني.....32

المبحث الثالث:(مفهوم المكاشفة عند الفلاسفة المسلمين).

مفهوم المكاشفة عند الفارابي.....35

مفهوم المكاشفة عند ابن سينا.....38

مفهوم المكاشفة عند السهروردي.....41

مفهوم المكاشفة عند ابن عربي.....44

الفصل الثاني:(مفهوم المكاشفة عند الغزالي)

المبحث الأول:سيرة الغزالي ورحلته نحو التصوف..... 48

أزمته من خلال المنقذ.....49

أصناف طالبي الحق.....52

أثر تكوينه على تصوفه.....55

المبحث الثاني:(شرح لأهم أقسام كتاب الإحياء)

شرح كتاب الإحياء.....62

أقسام التوحيد.....65

المعرفة عند الغزالي.....67

الدليل على أن القلب أداة المعرفة.....69

المبحث الثالث:مفهوم المكاشفة من خلال كتاب"الإحياء"

-مفهوم المكاشفة.....72

-موانع المكاشفة.....72

-شروط المكاشفة.....75

-أنواع المكاشفة.....80

-أدلة المكاشفة.....81

-تأثير الغزالي.....85

الفصل الثالث:(تجليات مفهوم المكاشفة عند المفكرين الغرب والعرب).....91

المبحث الأول:(مفهوم المكاشفة من خلال الفلسفة الغربية).....91

-مفهوم المكاشفة عند وليام جيمس.....91

-مفهوم المكاشفة عند بيوك..... 94

-مفهوم المكاشفة عند برتندراسل.....95

المبحث الثاني:(المخالفين والمنتقدين).....98

-ابن الطفيل.....98

-ابن الصلاح.....100

-ابن الجوزي.....100

ابن تيمية.....103

ابن رشد.....106

-**الخاتمة**.....109

- **قائمة المصادر والمراجع:**.....113

-**فهرس المواضيع:**.....117